« الحضارة مقبلة الينا .. وهي حضارة مطبوعة بطابع الشرق .. فيها حياة وفيها روح ، وفيها خير للشرق والغرب جميعا .. ! »

المستقبل لنا ... !

بقلم فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقوري

وزير الأوقاف

العالم الانسانى كله عالم واحد ، تنتظمه خصائص وصفات تؤلف من افراده وجماعاته جنسا خاصا ، له مميزاته بين سائر المخلوقات .. وحيث كان الانسان فهو فرد في هذه الاسرة الانسانية الكبيرة مهما اختلفت الالسن والالوان ، ومهما تباعدت الازمان والاوطان

وما الشرق والغرب الا اسمان متقابلان كما يتقابل الشمال والجنوب . والخط الذى يفصل بين الشرق والغرب خط وهمى - على حد تعبير الجغرافيين .. ومع هذا فقد تعارف الناس وجرى التاريخ على ان العالم عالمان : شرقى ، وغربى ، وان لكل عالم حسابه وتقديره الخاص في موازين الحياة

هناك اذن عالمان : عالم شرقى ، وعالم غربى ، وفى كل عالم من هذين العالمين مجموعة من الامم والشعوب تعيش فيه وتدور في فلكه ، وتخضع لظروف البيئة السائدة في محيطه

والفروق التى يذكرها علماء



الاجتماع بين الشرق والغرب كثيرة متعددة ، ترجع الى اختلاف في المزاج والتفكير ، والي تباين في الصفات النفسية والخلقية التى يعود الكثير منها الى الوراثات ، والي ظروف الحياة واحوال البيئة ، وذلك مما جعل الاختلاف واضحا بين الشرق والغرب ، وجعل لكل تفكيره ، ومذهبه واسلوبه في الحياة

ولعل اهم ما يذكر من فروق بين

الشرق والغرب ان امم الشرق تعتمد على الخيال وتلون حياتها به ، وتبنى حاضرها ومستقبلها عليه . وان امم الغرب تؤمن بالواقع وتعمل له وتعيش فيه ، وتقدر حاضرها ومستقبلها على قدره . ولا يعجز الباحثون عن ان يجدوا الدليل على هذا الراى . فقد استقل الشرق وحده بالنبوات جميعها ، والنبوات ـ كما نعلم ـ تعتمد اكثر ما تعتمد على ايقاظ الروح وتوجيهها الى السماء ، ووصلها بالملأ الاعلى ، ولفتها الى الحياة الآخرة وما يتصل بها من بعث وحساب ، وجنة ونار . وكلها امور تثير الفكر ، وتغريه بالانطلاق الى تلك الاجواء الروحانية الشفيفة التى لا يستطيع العقل ان يرتفع اليها الا على اجنحة الخيال ، هذا الخيال الذى جعل العقلية الشرقية تتقبل كثيرا مما وراء المادة ، وتؤمن بالصالح منها وغير الصالح . فكما امتلأت دنيا الشرق ـ من فيض هذه الروحانية وبفضل هذا الخيال ـ بالخفقات المتجهة الى السماء النابضة بالايمان ، امتلأت كذلك اجواؤه بألوان السحر والشعوذة ، وبأشباح الخرافات والاباطيل

اما الغرب الذى آمن بالواقع ، ووثق بالمادة فلم يكن له من هذه الروحانيات ولا من هذا الخيال نصيب مذكور ، ولهذا انصرف الى الحياة يعالجها بكل قواه ، ويلقاها بكل ما عنده من حول وحيلة ، ويشتبك مع واقعها فى صراع عنيف طويل

هذا الخلاف الذى يذكره علماء الاجتماع فى مظاهر التفكير بين الشرق والغرب هو الذى جعل الشرق شرقا ، والغرب غربا ، وجعل لكل منهما دوره فى الحياة ، وفلسفته التى يعالج بها شئونها ، ويواجه مشكلاتها

□

ونحن لا نستطيع ان ننكر هذه الظاهرة .. فان امم الشرق يغلب عليها حقا عنصر الروح الذى ينزع بها الى الخيال ، والذى يجعل لها نظرات خاصة تمتد الى ما وراء المادة ، وتنفذ الى عالم المجهول ، وتصل بها الى نتائج تدور فى كيانها ، وتؤثر فى تفكيرها وتسيطر على سلوكها . فهذا العنصر الروحى قد كان له ـ ولا شك ـ دور هام فى الامم الشرقية .. وكان له حسنات ، كما كان له ايضا سيئات .. ونستطيع ان نذكر من حسناته انه قد اتاح للشرق ان يسبق فى ميدان التقدم والعمران ، وان يفتح له الخيال مغالق العلوم والفنون ، ويفسح له الطريق الى مجالات الابتكار والاختراع .. فان عين الخيال احد بصرا واوسع افقا من عين الحقيقة والواقع .. ومن حسناته ايضا انه قد وصل امم الشرق بأسباب السماء فملأ القلوب ايمانا وسكينة ، واشاع فى النفوس الثقة والطمأنينة بالاستناد الى اقوى الاقوياء .. كما اشاع فيها الامل والرجاء فى الجزاء الطيب للعمل الطيب ، وكل هذه ولا شك دعائم قوية فى بناء الجماعات والامم ، واشاعة المثل الفاضلة والاخلاق الكريمة فيها

ونستطيع ان نذكر فى سيئات هذا العنصر الروحى انه قد غلب عليه الخيال المريض فى كثير من الاحيان ، وبين كثير من الامم ، فاصبح معول هدم مدمر ، وجعل الحياة اوهاما وضلالات ، فاقام الناس على محيط لا ساحل له من السراب الخادع والامانى الكواذب ، حتى فرغت دنياهم من كل خير ، وانتهى بهم الحال الى اسوأ حال من البؤس والشقاء

هذا راى .. وايا كان الامر فان هناك شرقا ، وهناك غربا ، وان بين الشرق والغرب ما بين كفتى الميزان من تعادل حينا ، وتراجع احيانا . والتاريخ يشهد ان كفة الشرق كانت هى الراجحة وان الحياة كلها كانت بيد الشرق من يوم ان استقبل العالم الحياة ... فما ان طلعت شمس الوجود على الانسانية حتى كان الشرق هو الذى استقبلها ، فملات دنياه دفئا وحرارة ، وفتحت خياله على اسرار هذا العالم فصاغ منها اعظم حضارة عرفها التاريخ .. فما عرف العالم الى اليوم حضارة تقف الى جانب الحضارة المصرية القديمة ، ولا تبلغ من القوة والعمق ما بلغته هذه الحضارة فى مختلف العلوم والفنون . وشواهدها الباقية تشهد لهذا وتقف الى الآن متحدية علوم العصر ان تفك الغازها ، وتكشف اسرارها ، وتصل الى صميم الحقيقة منها

وكذلك كان الشأن فى حضارة الهند والصين ، وبابل وآشور ، وفارس . وكلها حضارات قامت على عمد ثابتة من العلم الصحيح ، وعلى اصول مقررة من الفن الرفيع . وبهذه الحضارة التى انفرد بها الشرق رجحت كفته ، وخلا له وجه الحياة زمنا طويلا ، على حين كان الغرب لا يزال يعيش عيش البداوة ، ويأخذ من الحياة ما تسمح به دون ان يقدر على شىء مما تزويه عنه ، وتحجبه دونه

وقد يذكر بعض الناس ان حضارة اليونان والرومان كانت تعاصر حضارة مصر ، وفارس وبابل وآشور . وانها كانت من القوة والعمق بحيث لا تقل عن اية واحدة من هذه الحضارات .. ونقول ان هذا حق ، وان حضارة اليونان كانت على هذا النحو ، ولكننا مع هذا نستطيع ان نقرر ان هذه الحضارة قد اعتمدت فى كثير من اصولها على الحضارة المصرية والفينيقية .. اذ كان اليونان اصحاب تجارة مع مصر والشام وغيرها من البلاد الواقعة على ساحل البحر الابيض ، وقد نقل اليونان ما استطاعوا نقله من هذه الحضارات .. وكشف البحث اخيرا فى اليونان عن تماثيل لفراعنة مصر . كما يذكر التاريخ ان « هيرودوت » المؤرخ اليونانى قد عاش فى مصر زمنا وكتب كثيرا من اخبارها . وكل هذا يدل على ان حضارة اليونان قامت فى ظل الحضارات الشرقية واهمها حضارة مصر .. فحضارة اليونان ان لم تكن شرقية فهى ربيبتها . قد غذيت منها واعتمدت عليها فى الغالب الكثير من صورها

لقد ظل الشرق عهدا طويلا قائما على الحضارة منفردا بها .. والغرب يستقبل من هذه الحضارة شعاعات بين الحين والحين فى هذه الحروب التى كانت متصلة بين فارس واليونان وفى فتوحات الاسكندر .. ولكن الغرب مع هذا لم يستطع ان يقف على قدميه وان يقيم حضارة تناظر حضارة الشرق او تقاربها .. حتى كان الفتح الاسلامى واتصال العرب بالغرب عن طريق الاندلس وصقلية .. هنالك استطاع العرب ان يخلطوا امم الغرب بهم ، وان يوثقوا بينهم اواصر الثقة والمودة مما جعل كثيرا من ابناء اوربا يقبلون على تعلم العلوم العربية فى جامعات اشبيلية وطليطلة وغرناطة وغيرها من جامعات الاندلس وذلك لما عرف عن العرب من سماحة جعلت الاوربيين يانسون اليهم ويؤملون خيرا عندهم . واستطاع الغرب بهذه الثقافة العربية الخالصة ان يرى الحياة وان يبعث التراث اليونانى ـ وهو كما قلنا تراث عظيم فى العلوم والفنون ، تاثر كثيرا بالحضارة الشرقية وخاصة مصر ـ وبهذا استطاع الغرب ايضا ان يتهيأ لاقامة حضارة وان يكون لهذه الحضارة حسابها فى ميزان الحياة وان تزداد هذه الحضارة مع الايام نموا وازدهارا بينما تأخذ الحضارة الشرقية فى الذبول والجفاف ، حتى لكان العالم لا يحتمل حضارتين ، وانه اذا كانت هناك حضارة لابد ان يقابلها من الجانب الآخر تأخر وانحطاط . ولعل هذا التضاد فى الحياة هو من سنة الحياة ، واصل اصيل فى بقائها وعمرانها .. فهى ليل ونهار ، ونور وظلام ، وخير وشر ، وسلام وحرب ، وصحة ومرض ، وغنى وفقر .. وهكذا .. انها مسرح تتقابل فيه الاضداد وتلتقى عليه المتناقضات

« كانت حضارة الغرب نقمة وبلاء على العالم كله. فانها ـ على الرغم مما بلغته هذه الحضارة فى ميادين العلم والفن ـ قد ركبها الغرور ، واستبد بها جهل القوة ، فاستخفت بحقوق الضعفاء ، واستهانت بمعايير الأخلاق ، وتنكرت للأديان ، وحقرت من شأن المثل الفاضلة . وكان من هذا ان امتلأت دنياها بالاباحية والإلحاد ، وجعلت الناس فى هم دائم وفزع مقيم من ويلات الحروب ... »

□

ما كادت اضواء المعارف والفنون ترسل اول خيوطها على الافق الغربى حتى بدأت شمس المدنية الشرقية تنحدر نحو الغرب ، وتخلف وراءها ظلاما لم يلبث ان تكاثف وتحول الى ليل دامس يغمر الآفاق ، بينما اخذ الغرب شيئا فشيئا يستوفى حظه كاملا من مظاهر المدنية والعمران

ولو ذهبنا نعلل لهذا التحول فى احوال الشرق والغرب ، وغروب شمس الحضارة هنا وشروقها هناك ، لوجدنا لذلك كثيرا من العلل والاسباب فهذا التحول الذى اتى على حضارة

الشرق ـ مع انه سنة من سنن الحياة وان لكل حضارة اجلا ، وان الحضارة الشرقية قد استوفت عمرها وبلغت اجلها ـ هذا التحول له اسباب مباشرة لا يمكن اغفالها

منها ان هذه الروحانية التي قلنا انها طبيعة غالبة فى امم الشرق قد بعد بها العهد بينابيعها الاولى فأصابها الجفاف ولحقها العطن ، وبدأ الجهل يزحف عليها فى صور كثيرة من الخرافات والاباطيل التى تتحكم فى حياة الناس ، فتعزلهم عن الحياة وتلهيهم عنها بهذا السراب الذى يعيش عليه خيالهم المريض

ومنها ان الغرب حين اشتدساعده وحين واتته القوة ارسل على الشرق جيوشا زاحفة احتلت ارضه واستعبدت اممه ، وارهقتها بالوان العسف والاستبداد فزاد ذلك من بلاء الشرق وضاعف من محنته ، واسرع بالقضاء على معالم علومه وفنونه

كذلك كان الشأن فى تحول احوال الغرب ، وانتقاله من البداوة الى الحضارة ومن الهمجية الى المدنية . فهذا التحول مع انه امر طبيعى يجىء فى دورة الفلك بغروب الشمس عن افق وطلوعها على افق ـ الا ان له اسبابا مباشرة لا يمكن اغفالها ايضا

منها ان الشرق قد امد الغرب بكثير من المعارف ، واطلعه على الكثير من معالم المدنية ، ووضع بين يديه منها مثلا معنوية ومادية .. فكان لذلك اثره فى اثارة غريزة التقليد والمحاكاة فيه ، وفى تقوية الرغبة عنده الى التفوق والتقدم

ومنها ان العقلية المادية التى غلبت على التفكير الغربى .. ان تكن قد ابطأت بالغرب عن مجال الحضارة زمنا طويلا .. الا انها وثقت الصلة بينه وبين الطبيعة وجعلته فى مواجهتها دائما .. وذلك قد اتاح له فرصا كثيرة شاهد فيها ـ عن كثب وبعين الواقع ـ كثيرا من اسرارها وخفاياها . وبهذا استطاع ان يقيم حياته على اسس سليمة راسخة خالية من طلاء الخيال ، وزخارف الاوهام

وهكذا جرى القدر ، وتمت دورة الفلك بأن تذهب حضارة ، وتقوم حضارة ، ويهوى الشرق ويرتفع الغرب ، وصدق الله العظيم حيث يقول جل شأنه : « وتلك الايام نداولها بين الناس »

▭

واليوم .. قد بدأ الشرق يصحو وبدأت الدماء الحارة تجرى فى عروقه وتنساب فى كيانه ، وكان اول تباشير هذه الصحوة انقشاع سحب الاستعمار عن آفاقه .. ثم ما تبع ذلك من الالتفات الى تراث الماضى والاتجاه الى العناية بالعلوم والفنون ومزاحمة الغرب فيها ..

هذه ظاهرة واقعة لابست حياة الشرق ، فأصبحت متجه آماله ومرمى اهدافه .. فما هى النتائج التى نعلقها عليها وننتظرها من ورائها ؟

نستطيع ان نقول فى ظل هذه الظاهرة الواقعة :

اولا ـ ان الشرق فى طريقه الى حضارة جديدة تقوم على ما قامت

عليه حضارته الاولى من علم وفن وأن الشرق ليتهدى الى هذه الحضارة ويستلهمها بما استقر فى نفسه من احاسيس بموروثاته من حضارته الماضية التى لا تزال تدور فى آفاق نفسه ، ولا تزال تحلق فى سماء خياله .. وانه بهذه الانبعاثات الداخلية - الى جانب الانبعاثات الخارجية ، من مظاهر العلوم والفنون - سيبلغ غايته من الحضارة والمدنية فى وقت قريب .. فان معالم الطريق له واضحة ، وادلته عليها كثيرة وبينه وبينها الف .. وكل هذا مما يعينه على قطع الطريق الى الغاية ، وتوفير الكثير من الجهد والوقت

ثانيا - ان الشرق سينتقل اليه ثقل ميزان الحياة ، وستكون له الكفة الراجحة .. وانه سيسلم اليه زمام هذا العالم وقيادته . وذلك لما قررنا من قبل من ان العالم لا يحتمل حضارتين .. وانه لا تظهر فيه فى وقت واحد الا حضارة واحدة .. فى الشرق او فى الغرب

واذا كانت الحضارة قد اخذت طريقها الى الشرق - كما قلنا - فانها ستخلى مكانها حتما من الغرب ولا يبقى منها الا ظلال !

واذا اردنا ان نجد الدليل على تحول الحضارة عن الغرب فانا نستطيع ان نقول ان الحضارة الغربية قد اعتمدت على المادة واستندت اليها وجعلت علومها وفنونها مسخرة لها ، ثم ما زال هذا الشعور المادى ينمو ويقوى حتى تحولت هذه الحضارة الى حجارة صماء ، وارقام متحركة لا تلمع فيها ومضة روح .. وهذا ايذان باختناقها وموتها

نقول هذا لا شماتة فى الغرب ، ولا حقدا عليه ، ولكن لان هذه سنة الحياة : لا تطلع فيها شمسان ، ولا يجتمع فيها نهاران .. وحضارة الشرق آتية لا ريب فيها . فهل يمكن ان تبقى مع ذلك حضارة الغرب؟ لا ندرى ، ولكن الذى ندريه وفى يدنا الدليل عليه هو ان الحضارة مقبلة الينا ، وانها حضارة مطبوعة بطابع الشرق .. فيها حياة ، وفيها روح ، وفيها خير للشرق والغرب جميعا

□

لقد كانت حضارة الغرب نقمة وبلاء على العالم كله .. فانه على الرغم مما بلغته هذه الحضارة فى ميادين العلم والفن ، وعلى كثرة ما انتجت من صور الحياة المادية ، وعلى قدر ما ملأت الدنيا من وسائل المتعة والرفه .. قد ركبها الغرور ، واستبد بها جهل القوة فاستخفت بحقوق الضعفاء ، واستهانت بمعايير الاخلاق ، وتنكرت للاديان ، وحقرت من شأن المثل الفاضلة .. وكان من هذا كله ان امتلأت دنياها بالاباحية والالحاد وجعلت الناس فى هم دائم وفزع مقيم من نذر الحروب وويلاتها

اما مدنية الشرق المرتقبة فانا نرجو ان تقوم على المبادىء التى قامت عليها من قبل .. وان تتصل بأصولها الروحية الصافية ، فتحمل الى الناس الخير الخالص من شوائب الاذى وتقيم الامم جميعا على نهج الحب والمودة والاخاء

اذا اردنا ان نحمي أنفسنا من الاستعمار ، فلنعم ثقافتنا القومية ، ولنجعلها اساسا لحياتنـــا ، تنعكس صورها في اعيادنا وحيـــاتنا العــامة ...

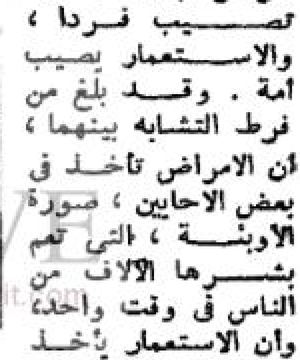
فلنحارب الاستعمار بأنواعه الثلاثة

الثقافة القومية هي خط الدفاع الأول..!

بقلم الأستاذ فتحي رضوان

وزير الارشاد القومى

الاستعمار مرض له كل خصائص المرض واعراضـــه ، لا يختلف عن امراض البدن ، الا ان هذه الامراض تصـــيب فـــردا ، والاســتعمار يصيب امة . وقـــد بلغ من فرط التشابه بينهما ، ان الامراض تأخــذ في بعض الاحايين ، صورة الاوبئـــة ، التي تعم بشـــرها الآلاف من الناس في وقت واحد ، وان الاستعمار يأخــذ نفس الصــورة في بعض الحقب من التاريخ ، فاذا بموجته في هذه الحقب تطم وتعلو ، فتقـــع الامم فرائس وضحايا له ، الواحدة في اثر الاخرى ، وكأن ميكروبا انتقل من احداها الى الاخــرى بسرعة البرق . وقراء التاريخ يذكرون مثلا أن دول شمال افريقيا فقدت استقلالها في العشر السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ، ومن تأخرت اصابته بهــذه النكبة ، لم يطل حظه في الاستمتاع بالحرية



وكما يتعرض جسم الانســـان للمرض حينما تضعف مناعته ، تتعرض الامم للاستعمار حين تضعف مناعتها

ولقد كشف العـلم الحديث ، أن في الطعام عناصر معينــة ، هي سر قدرة هذا الطعام على التغذية ، وبنـاء الجسم ، وهي ما نسميه الآن « بالفيتامينات » ، وفي حياة الامة الروحيـــة والثقافيــــة « فيتامينات » لازمة لها ، ان اعوزها الحصول عليها ، اصـابها الهزال ، وتعرضت للعلل ، وفقدت مناعتها

فما هي تلك الفيتامينات في الحياة القومية ؟

ان الانسان مفطور بطبعـــه على الاحساس بالماديات بأسرع مما يحس

بالمعنويات ، ولذلك فان اكثر الناس يتصورون أن الامم القوية هى الامم الغنية او الامم ذات الجيوش الضخمة ، وهذا وهم كبير . فقد أطلعنا التاريخ على أمم كثيرة ، هوت عن عرش مجدها ، وهى فى ظاهر الامر فى عنفوان قوتها . ورأينا على النقيض أمما كثيرة ، تبدو صغيرة ، وهى فى واقع الامر فقيرة، ومع ذلك أثبت نزالها لمن هو اقوى منها وأكبر فى حساب المادة والثروة، انها هى الاكثر قوة

▭

فلقد نازل اليابانيون الروس سنة ١٩٠٥ فأنزلوا بهم هزائم منكرة ، وكانت روسيا ، بالنسبة لليابان ، كالفيل الضخم بالنسبة الى حصان صغير

وأنزلت اليونان الهزائم فى الحرب العالمية الاخيرة بايطاليا ، وتعداد سكان اليونان لا يزيد على ثلث سكان ايطاليا ، وليس لاولاهما ما للثانية من مستعمرات، وأساطيل فى البر والبحر والجو .. ومحا العرب ، فى صدر البعثة المحمدية ، امبراطوريتى الرومان والعجم ، وكانتا فى ذلك الحين العالم المعمور ، ولم يكن للعرب عهد بحروب الدول، ولا سابقة فى انشاء الجيوش الجرارة وتمويلها وقيادتها . فما هو اذن سر القوة فى الامم ؟

ان السر الحقيقى لقوة الامم ، هو ثقافتها

ولا أعنى هنا بالثقافة ، الجامعات ولا مدى انتشار العلم بين أفراد الأمة ، انما اعنى الثقافة القومية التى هى خليط من العقيدة والتراث الفكرى الموروث ، فهى حينما تكون نابضة حية ، ويكون الشعب متماسكا قويا ، لا تفعل فيه الاحداث ، ولا تهزه المحن ، بل ان هذه الثقافة ذاتها تدفعه الى العمل والى الابتكار والتجديد . ثم تهيىء له فرص الفيض على غيره من الأمم . وأبلغ دليل على هذا ، ما نراه من تغير الامم فى أعقاب الثورات . فان الثورات عادة توحد من ثقافة الشعب ، وتحيى تراثه القديم ، أو تصل الشعب به ، فاذا ضعفه قد استحال الى قوة ، وتفرقته الى وحدة ، وتخاذله وخوفه من المخاطر، الى تضحية ومجازفة

▭

ولو راجعت تاريخ مصر ، قبل الاحتلال البريطانى ، لوجدت ان مصر فقدت كل صلة لها بماضيها الفكرى.

فلقد فصلها حكم محمد على وحكم اسرته فصلا تاما عن ماضيها القريب وماضيها البعيد . فلم تعد مصرية ولا عربية ولا فرعونية . وعلى الرغم من انه أنشأ لها جيشا ضخما ، هدد استانبول ، وبنى لها أسطولا كان اقوى الأساطيل ، لم ينقض على انشاء هذه الجيوش وبناء تلك الأساطيل اكثر من اربعين عاما حتى كانت مصر مستعمرة بريطانية . لان المدارس كانت تعطى

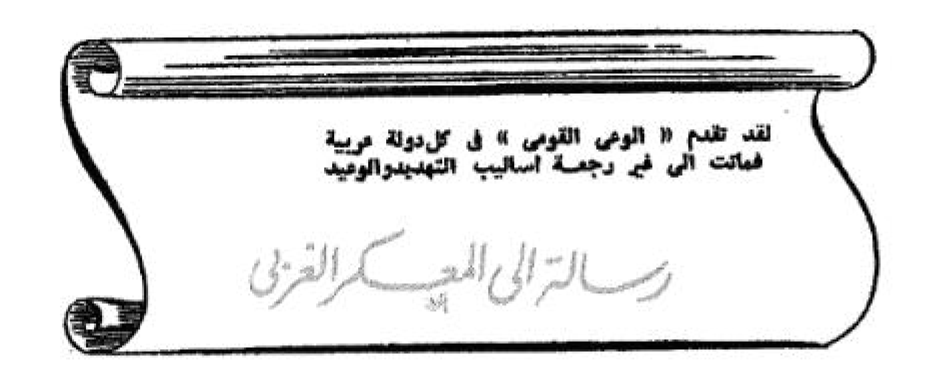
علما غثا تافها ، أكثره بالتركية ، واقله بالعربية . ولأن الأزهر كبل ووضعت فى أعناقه الاغلال ، فأصبح مدوسة تعيش على فتات المائدة العربية الاسلامية المجيدة

ولولا أن تيارا فكريا جديدا قد شمل مصر ، وأعادها من جديد الى ماضيها ، ولولا أن عاد الشعراء الى التغنى بهذا الماضى ، والشدو به ، ولولا أن اللغة العربية استقامت ، والألسن قومت ، لما شهدت مصر حركة مصطفى كامل ولا ثورة سنة ١٩١٩

فاذا أردنا أن نحمى أنفسنا من الاستعمار بأنواعه الثلاثة : السياسى والاقتصادى والعسكرى ، وأن نحصنها منه ، فلنحم ثقافتنا ، ولنجعلها أساسا لحياتنا ، تنعكس صورها فى أعيادنا ، وفى حياتنا اليومية ، وفى حياتنا العامة . فالثقافة القومية هى خط الدفاع الاساسى ، الذى يسبق الخطوط الاقتصادية والعسكرية ، بل هو الخط الذى يحمى تلك الخطوط ، أو ان أردت الدقة هو الذى يخلقها خلقا

ان الثقافة القومية ، هى ثقة الشعب بنفسه ، هى أمله فى مستقبله ، هى فخره بماضيه ، هى الوعاء الذى يضم أفراد الأمة بعضهم الى بعض ، هى اللواء الذى يرفرف فوق رؤوس أفرادهم وجموعهم

ومن هنا ، كان على المفكرين والفنانين ، على الكتاب والشعراء ، وواضعى الالحان وناظمى الاغانى ، على المصورين والنحاتين ، أن يدركوا عظم المسئولية الملقاة على عواتقهم ، وأن يبعثوا ثقافتنا القومية ، ويضفوا عليها أثوابها الجديدة الجميلة اللائقة بها ، ليعيدوا بناء شخصيتنا ، وبالتالى قوميتنا ، وليحموننا من غارات المغيرين ، وطمع الطامعين



بقلم الأستاذ فكرى أباظة

نستهل هذه « الرسالة » بالتحيات المباركات التقليدية التى يحرص عليها « الشرق العربى » بتقاليده الصالحة ومعدنه الكريم الأصيل ، داعين الله سبحانه وتعالى أن يلهم « المعسكر الغربى » الصواب . وأن يرده الى رشده .. فيعود الى حظيرة الحق ، والعدل ، والانصاف ...

قائمة سوداء !...

وبعد هذه التحية التقليدية نرى من واجبنا أن نصارح « المعسكر الغربى » بسوابقه معنا ، ملخصة فى هذه « القائمة السوداء » :

أولا — عانينا ماعانينا سنين طويلة من احتلاله واستعماره ، واغتصابه ، والتهامه لأرزاقنا وأقواتنا ... وما بذلنا من أرواح ودماء فى سبيل الدفاع عن حريتنا وكرامتنا واستقلالنا !... وما امتلأ به « المنفى » من أقطاب وزعماء وشهداء ! وما امتلأت به « السجون » من مظلومين ومنكوبين فى كل عهد وفى كل جيل !...

ثانيا — أنجدنا ، وساعدنا ، وعاونا « المعسكر الغربى » فى أيامه السوداء الحالكة فى الحربين العظميين الماضيتين بأبنائنا ، وأرزاقنا وأقواتنا ، وأموالنا ، ومواصلاتنا ، ومصانعنا ، ولحمنا ، ودمنا حتى تحقق له النصر .. فكان الجزاء امعانا فى التنكيل ! واندفاعا فى العدوان ! وجنونا مطبقا بلا ذمة وبلا ضمير !..

ثالثا — لايزال استعمار « المعسكر الغربى » يركب رأسه ويتمادى فى

جنونه ويجرى عمليات الابادة فى بعض البلاد العربية !...

رابعا ـ كانت افدح كارثة دهمنا بها « المعسكر الغربى » أنه ضربنا ـ خطلا وغدرا من وراء الظهر ـ بخنجر مسموم .. فانشا واقام دويلة مفتعلة فى صميم أرضنا وهى دويلة « اسرائيل » !!!

ولم يكتف بهذا بل دعمها بالمال وبالسلاح ، ومالأها وناصرها فى كل باطل أقدمت عليه ، وفى كل اثم تشجعت عليه .. فهدد بهذا الغدر سلامتنا وأمننا ، وأرهقنا بنفقات طائلة استعدادا لرد العدوان !...

خامسا ـ نثر « المعسكر الغربى » دولاراته وأسلحته ذات اليمين وذات اليسار ، وتعمد أن يضن علينا ونيته المبيتة أن يضعفنا لنسلم ، ونستسلم !...

سادسا ـ حاصرنا « المعسكر الغربى » حصارا اقتصاديا عنيفا ، فضيق علينا الخناق لنذوى ونضمحل وفى بلادنا حاجة ملحة الى الاصلاح

سابعا ـ فى الصحارى ... وفى القفار ... وفى العراء وصمة تاريخية تلطخ جبين «المعسكر الغربى» الى أبد الآبدين وهى وصمة «اللاجئين الفلسطينيين » !!!

هذه هى « القائمة السوداء » موجزة ملخصة نزفها زفاحزينا داميا الى « المعسكر الغربى » ليذكر أنه كان دائما ظالما جبارا عاتيا عديم الذمة وعديم الضمير !...

▭

وفى هذه الرسالة التى نرفعها الى « المعسكر الغربى » نرى من واجبنا أن نشير الى خصمه ، وعدوه ، ومناهضه وهو « المعسكر الاحمر »

ليست له عندنا «قائمة سوداء» .. فلا هو اعتدى ولا اغتصب ولا احتل ولا استعمر ولا امتص الدماء ، ولا خلق لنا فى صميم أرضنا الأعداء الألداء ، ولا كان يوما من الأيام علينا شقاء وبلاء ! اللهم الا اختلافا فى المذاهب الاجتماعية ندفع شره بكل ما فى وسعنا ، ولكن « الطغيان السياسى» شىء ، و «الخلاف المذهبى» شىء آخر ...

الحياد !...

كان طبيعيا ، وأبجديا ، أن نقف « على الحياد » بين المعسكرين رغم « القائمة السوداء » و « القائمة البيضاء » !...

وما فعلنا ذلك تجنيا على «المعسكر الغربى » ، أو ثأرا وانتقاما ، وانما قررنا « الحياد » للاسباب الآتية :

١ ـ لان مصلحتنا القومية تقتضى ذلك ولايستطيع الذين قلموا أظفارنا ، وجردونا من السلاح ، أن يقحمونا فى « حروب دولية » لسنا لها أكفاء

ولا ناقة لنا فيها ولا جمل !...

٢ - ننفذ بولاء وبوفاء معاهدة دولية عقدت في سنة ١٨٨٨ بين الدول جميعا وأمانة التنفيذ واجبة !

٣ - ممرنا البحرى يجب أن يكون « حرا » محايدا لكفالة حرية التجارة والملاحة لمصلحة الدول جميعا ...

٤ - حيادنا حتم وواجب لمصلحة الأمن الدولي والسلام العالمي ...

٥ - نفذنا « بهذا الحياد » نصا صريحا واردا في ميثاق جمعية الأمم المتحدة الذي صدر في « سان فرنسيسكو » سنة ١٩٤٥ ...

٦ - ليس لدينا أى مبرر في استعداء الأعداء . وفي التطوع الجنوني لنصرة فريق على فريق . وهذا « الاستعداء الجنوني » يجر علينا شرا وخطرا ووبالا اذا نشبت «حرب ثالثة » ...

٧ - لسنا « بالاستعماريين » ولا « بالرأسماليين » ولا بالشيوعيين فالى أى هدف نهدف اذا انضممنا الى « المعسكر الغربي » أو « المعسكر الأحمر » ؟!

التوبة والاستغفار !...

فاذا كان «المعسكر الغربي » رغم سوابقه ، ورغم رزاياه ، يود أن «يتوب ويستغفر » فما عليه الا أن يراجع « قائمته السوداء » ويسأل ضميره : «هل ماورد في كل بند من بنودها صحيح أم غير صحيح؟» ...

فاذا أحس واعترف بأن ما ورد فيها صحيح فان الذمة والنزاهة والأمانة تقضى عليه بأن يكفر عن آثامه ، وأن يصحح أوضاعه ، وأن يمحو أخطاءه .. وفي مقدمة هذه الآثام والاخطاء تلك اللطخة « الاسرائيلية » التي لم يرد نظيرها في تاريخ القرون المظلمة ..

حينذاك - وحينذاك فقط - يستطيع « المعسكر الغربي » أن يجد منا أصدقاء في حدود ما رسمناه لمصلحتنا ولمصلحة العالم أجمع ...

اليوم غير الأمس !...

نعم : اليوم غير الأمس !...

ولم تعد «مصر» وزميلاتها العربية مصر الأمس الغابر .. لقد ولى ذلك العهد وراح ! كما ولى الاستعمار وراح !.. وتوارى ذلك الشبح المخيف من الوجود ، وهو شبح القوة التي لا عقل لها ولا ضمير ! وتقدم « الوعي القومي » في كل أمة وفي كل دولة ، فماتت - الى غير رجعة - أساليب التهديد والوعيد !...

هذه رسالتنا الى «المعسكر الغربي» فعسى أن يقرأها بامعان ، وعسى أن يعود الى الحق والصواب . والعودة الى الحق والصواب فضيلة الفضائل عند ذوى النيات الحسنة . والأهداف الصالحة ...

والسلام على « المعسكر الغربي » ورحمته وغفرانه ...

كنا بالأمس سادة
فلنكن اليوم أسيادا

بقلم الدكتور أحمد زكى

اذكروا ايها العرب وايها المسلمون سبب التقدم الذى كان وسبب التخلف الذى هو كان . ولا تاذنوا لاحد ان يقف سيركم الى الامام

نعم اذكروا فقد تنفع الذكرى

اذكروا انه كانت لكم دولة ودولة، حين لم يكد أن يكون على ظهر الارض دول ، وانه كانت لكم صولة وصولة ، حين لم يكن على ظهر الارض من يجرؤ أن يصاول ، وانه كانت لكم طولة وطولة ، حين لم يكن على ظهر الارض من يجرؤ أن يطاول

واذكروا انكم جاء عليكم أجيال مشيتم فى أهل الارض جميعا أسيادا أعزة ، ورفعوا سيفا فرفعتم أسيافا ، واجروا خيلا فأجريتم خيولا ، واثاروا نقعا فأثرتم ما كدر وجه الدنيا جميعا . وبالسيف وغير السيف دفعتم الظلم ، وبالسيف وغير السيف طلبتم المجد فى أقصى البلاد لما لم يكن لغير السيف لسان تسمعه وتفقه عنه آذان . وقلوب رأت الموت جهرة فلم تتراجع عنه ذعرا ، ولكن ارتمت فى أحضانه قهرا وقسرا

واذكروا ما كان فيكم من اباء الضيم ، واذكروا انكم أبيتم ضيما فى خرب ، وكنتم اشد اباء له فى سلم .. واذكروا قول قائلكم :

ساغسل عنى العار بالسيف جالبا
على قضاء الله ما كان جالبا

واذهل عن دارى واجعل هدمها
لعرضى من باقى المذمة حاجبا

واذكروا انه كانت فيكم حكمة يتسقطها طلاب الحكم ، وكان أدب كأرفع ما تكون الآداب ، ماتت الايام وهو لم يمت ، ومرت عليه القرون فما زاده القدم الا حلاوة وطلاوة ، والا وفاء بحاجات انفس اشقاها ما كان من عنت جاءت به صروف الايام والليالى

وشاع الادب وذاع فى أسلافكم ، فدخل القصور ، ولم يتحرج أن يدخل الاكواخ . وانعقدت له فى الاسواق المجالس . وانعقدت له الندوات فى حوانيت الوراقين وغير الوراقين ، وانتشر منها فى عواصمكم الف والف ، يتباحث الرجال فيها ويتعارضون ويتناظرون

ورجل رجل فى طلب الادب الى

عاصمة من عواصمكم ، فقرأ ما شاء الله ، ثم أراد الانصراف الى وطنه ، فاكترى دابة يركبها ليخرج من البلدة . ولكنه وقف ليشترى بعض حاجته عند حانوت . فسمع نقاشا أدبيا بين اثنين من أصحاب الحوانيت . فطلب من صاحب الدابة اعادته الى العاصمة . قال : « ان بلدا فى هذه المنزلة من العرفان لا ينبغي ان يرحل عنه »

وتمقرط الادب فى اسلافكم على قدر لم يبلغه فى ديمقراطية جاءت من قبل أو من بعد .

فرأينا بائع الجرار والفخار يصبح شاعرا ويتصل بالخلفاء . فذاك أبو العتاهية .

ورأينا العطار يصبح شاعرا ، ويكون له مع الرشيد شان اى شان . فذلك ابونواس

ورأينا ساقى الماء ، عند باب جامع ، هو جامع عمرو ، يسقى الماء ثم هو يستقى من أدب علمائه ، ولم يزل يحفظ الشعر ويقوله حتى اقبل عليه عشاق الادب اقبالا لم يبق لغيره فيه مجالا . فذاك أبو تمام

□

وكما تمقرط الادب ، تمقرط العلم وسائر صنوف العرفان . والتعليم الذى قالوا انه كالماء والهواء كان ماء وهواء لكل طالب له فى اسلافكم . وتكافؤ الفرص ، هذا التعبير الديمقراطى الحديث ، كان فى الماضين من ذويكم معنى قديما عتيقا مألوفا مبتذلا حتى ما ابتدع له لفظ ، لأنه كان من بدائه الامور .

فكانت المساجد مدارس يغشاها كل طالب . وتحلقت فيها الحلقات ، فهذه للفقه ، وهذه للغة ، وتلك للادب ، وهذه لصنعة الكلام والمتكلمين ، وهلم جرا . وأسموها بيوت الله حتى لا يكون لداخلها استئذان . ويدخلها الداخل ينتقى من دروسها لا لتغرض عليه . ويدخلها طوعا ، ويخرج عنها طوعا . وان طاب له ناقش ، وعلى النقاش كانت تتفتح فى الدروس المغاليق . وبلغت المساجد فى عاصمة من العواصم الكبرى آلافا كانت الجوامع منها ، على الاخص ، مراكز للعلم والتعليم هائلة. ومن المساجد الجوامع الأزهر ، ولا يزال فينا من الأحياء من حضر حلقاته . ومن المساجد الجوامع فى مصر جامع عمرو ، وجامع العسكر ، وجامع ابن طولون ، وجامع الحاكم ، وكلها ، الى جانب كثير غيرها ، كانت منتديات للعلم والعرفان

سنن سنها الشرق للغرب فاتخذ من الكنائس مدارس وجامعات . فجامعة اكسفورد وجامعة كمبردج كنائس ، وما كلياتها الا معابد ، وهى معابد بناء ، ومعابد أسماء

ومن بعد المساجد جاءت المدارس، على حال لم يسبق له مثال . وانتشرت فى العواصم والقرى ، فكانت المدارس النظامية ، وكانت المدارس الغورية ، وكانت المدارس الايوبية ، عشرات من بعد عشرات من بعد عشرات . كانت مساكنها تأوى أساتذة ، وتأوى طلابا، انقطاعا للعلم وحسبة لله . وذلك فى عصر كان العلم فيه أعسر الاشياء ، وأغلى الاشياء وأكثرها نفقة . وكانت مصادره عزيزة والكتب فيه أعز . كانت الكتب من نتائج الاحبار فى محابرها ، يغمس فيها النساخ أقلامهم ، لا من نتائج المطابع تغمس فى الزيت الاسود حروفها . يوم كان العلم تشد اليه الرحال، الايام والاشهر، يجمع الراحلون اليه منه لطلاب العرفان كل نافرة منه شاردة . فلم يكن فى الدنيا قطار ولا طائرة . ولم تكن مطايا الا الابل، ولا غطاء الا الشمس تسود الوجوه

واذكروا بالعلم علماء كانوا فيكم أجلاء ، فى كل ضرب من ضروب العرفان ، لا فى علوم الدين وحدها ، ولا فى علوم اللسان ، علوم اللغة ، وحدها ، ولكن كذلك فى علوم الارض وعلوم السماء

اذكروا فى بغداد المأمون وهو يرصد مع علمائه السماء يحاول ان يجد قطر الارض ، واذكروا الحاكم فى القاهرة يبنى مع علمائه مراصد يحاول بها ان يكشف من السماء أكثر مما كشف من قبله الغابرون

واذكروا المارستانات ، المستشفيات ، حيث كان يعلم الطب ، ويطب للمرضى . كانت المارستانات كليات للطب ، فيها العالم وفيها المتعلم ، علما وعملا

□

واذكروا ذلك اليوم الفريد ، فى الازهر الشريف ، يوم ثار الطلاب على أستاذهم ، ثورة أقرب الى العتب منها الى الغضب . كان الشيخ يعلم التشريح . وكان يعلمه من بعض كتبه . كتب كتبها جالينوس ، الطبيب الاغريقى المصرى القديم . وشق على الطلاب ما وصف الواصف . قالوا للشيخ : ان هذا الامر تصوره عسير ، فلا بد أن نرى ، فالعين تعين على الفهم . وعز على الشيخ أن يريهم . ان تشريح الموتى حرام . وذكر الشيخ أن بالاسكندرية مكانا عتيقا تحت الارض كشفوا فيه عن كثير من العظام . وخف الشيخ ، وخف تلاميذه الى الاسكندرية . وفحصوا هناك ودرسوا . وخطأوا جالينوس فى بعض ما وصف

اذكروا هذا اليوم أشد الذكرى

واذكروا هذا الحادث البسيط التافه ، لانه غير تافه وغير بسيط .

ولان فيه ، وفى كثير من امثاله ، يجد الباحث سبب التخلف الذى كان

لو أن هـذه الروح فى هؤلاء الطـلاب ، وتلك التى انبعثت فى الشـيخ ، عمت وانتشرت ، لكان الشرق اليوم من العلم الحـديث ، ومن القوة ، حيث يوجد اليـوم الغرب . ولكنهم قالوا انها الفلسفة، وانها لحرام

انها الكاغمة وانها الجهالة ، وانه لضيق الذهن وضيق الافق، والتنطع فى التدين ، هو الذى ذهب بكل هذه الفرص الغاليـة التى كانت فلم تنتهـز . وذهب بكل تلك الروح ، روح التشوق ، روح التطلع ، روح الرؤية عن كثب ، وروح التجريب التى كانت الخطوة الاولى فى كل هذا العلم الحديث الذى نرى ، وكل هذه المدنية الحاضرة العارمة

اذكروا ما صنع الجهل والجهال بكم . واذكروا ما زالوا هم يصنعون.

ان الجهالة القديمة لا تزال باقية ، وكذلك الجرم القـديم . ان قوما أرادوا أن يدخلوا علم الطبيعـة فى معهد ، فى بعض ما أرادوا أن يدخلوه اليه من حديث العلوم . وخشـوا « الطبيعة » ، كما خشيها اخوان لهم عاشوا من قبل الف من السنين، فاسموها « سنن الله الكونية »

□

نعم اذكروا كل شيء

اذكروا سبب التقدم الذى كان ، وسبب التخلف الذى هو كائن

ولا تأذنوا لأحد ، كان ما كان ، أن يقف سيركم الى الامام

كنتم بالامس سادة ، وانتم جديرون أن تكونوا اليوم أسيادا

وذلك بالرؤوس ، املأوها علما

وبالايدى ، املأوها عملا

وبالقلوب ، املأوها أملا ، وانفة وعزة

والله معكم

سر التقدم

يجنى العامل اكبر فائدة ممكنة من اى عمل يوكل اليـه فيجيد اداءه . وهذه الفائدة ليست مالا يتقاضاه ، وانما هى زيادة فى كفايتـه وقدرته . ان احسن معارفنـا هى التى نستخلصها من العمـل او نتيجة العمل . انهـا تغدو جزءا منا . ولذلك لا يمكن أن ننسـاها ، بل تصبح سلاحا دائما نستعين به عند الحاجة . وما أجدر الشاب الذى ترسخ هذه الفكرة فى ذهنـه ، بأن تتضاعف أمامه دائما فرص التقـدم والنجاح ..

يريد الغرب من أمم العرب ، وهي قرابة خمسين مليونا أن تساوى مليونا ونصف مليون من الصهيونيين في القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ، وهذا ما يسمونه سياسة التوازن بين العالم العربي ، ودويلة اسرائيل

العرب واسرائيل فى ميزان الغرب

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

أرادت الأمم أن تنشىء للعالم هيئة دولية تعالج مشكلاته الخطيرة بالوسائل السلمية ، فكانت هيئة الأمم المتحدة !

ولم تمض جلسات الافتتاح حتى افترقت هذه الأمم فريقين متقابلين وحق عليها قول المتهكمين انها هيئة الأمم « غير المتحدة » ... لأنها لم تكد تتفق على رأى واحد فى مسألة من مسائل الحرب أو السلام

وظهر ظهورا لامراء فيه أن فى العالم كتلتين ، سميت احداهما بالكتلة الشرقية ، وسميت الاخرى بالكتلة الغربية

وزعيمة الكتلة الشرقية روسيا السوفييتية ، وزعيمة الكتلة الغربية الولايات المتحدة ومن ورائها انجلترا وفرنسا

وأخطر ما فى هذا الانقسام أن كل فريق منه حاول أن يضم اليه الأمم كأنه يفكر فى سؤال واحد ولا يفكر فى غيره وهو « مع من تكون هذه الأمة فى ميدان القتال ؟ »

نعم كان هذا أخطر ما فى ذلك الانقسام بين الفريقين ، فقد حرم كلاهما على الأمم أن تبتعد عن الحرب ، وأوجب عليها أن تكون مع هذا المعسكر أو ذلك المعسكر فى ميدان القتال ، « ومن ليس معنا فهو علينا » على حد المثل القديم !

ووصل الأمر الى حد الاكراه كلما استطيع الاكراه بوسيلة من وسائله السياسية أو الاقتصادية : قل مع من تحارب فلا بد أن تحارب ، ولا اختيار لك الا أن تكون هنا أو هناك .. بل لا اختيار لك فى الحقيقة أمام وسائل الاكراه !

ونحن فى الشرق العربى لم نعرف معنى لهذا التخيير الذى لايقوم على أساس غير اختيار الصف فى ميدان القتال

لم نعرف معنى ذلك لأننــا اذا تلقينا الهجوم من الشرق عند وقوع الحرب فلا شك فى وقوفنا الى جانب الدفاع

أما اذا جاءنا الهجـوم من الغرب فالدخول فى صفه وهو يهاجمنا أمر غير مفهوم

وحقيقـة الواقع أننـا فى الشرق العربى نعلم أن الكتلتين تحتلان بلادا شرقيـة تربطنا بهـا رابطة العطف والأمنية الحسنة

أما فيماعداذلك فنظامنا الاجتماعى وعلاقاتنا الاقتصادية والثقافية أقرب الى جانب الغرب، وليست بيننا وبين الكتلة الشرقيـة مع ذلك مقاطعـة اقتصـادية ولا سياسـية ، وليست روســيا باعتبارها زعيمـة الكتلة الشرقية عدوا لنا فى علاقات الدول، وانما تختلف قواعـد المجتمع بيننا وبينها ولا نقبل من حكومـة ما أن تعمل على المســاس بتلك القواعـد عندنا ولا أن تحول بيننا وبين حماية قواعدنا ، وليس بيننا وبين روسيا فيما عدا ذلك عداء فى مجال المعاملات الدولية على اختلافها

هذه هى حقيقة الواقع فى جملتها:

نحن أقرب الى الغرب بمجتمعنا وثقافتنا ومعاملاتنا الاقتصادية

ونحن مع هذا الاقتراب قد رفضنا كل الرفض أن يتسلط علينا الغرب فى سياستنا أو يتعرض لحريتنا

فاذا جاء الخطر من غيره فمن المحقق أننا نرفضه وندفعه ولا يلتبس موقفنا فى هذه الحالة على أحد، لأنه بطبيعته لايقبل الالتباس

نحن لانهدد أحدا بحريتنا، ولكننا لانرضى ــ بالبداهة ــ أن يهدد حريتنا أحد ، ولا نوازن بين الكتلتين الا بهذا الميزان الذى لايخدعنا ، فلا عدو لنا منهما مع سلامة حريتنا من جانبه ، ولا صديق لنا منهما مع تعريض تلك الحرية للخطر أو التهديد

لكننا نقول فى صراحة لابد منها ان ســياســة الغرب تطيش بين الأصدقاء والخصوم فى سبيل القضية الكبرى التى تهم البلاد العربيــة ولا بد أن تهمهــا ، وهى قضيــة اسرائيل

ان المستحيل بعينـه هو الاذعان للسياسة التى يفرضهـا الغرب على البلاد العربية من أجل هذه القضية، وأن تهديد الغرب لبلاد العرب يفوق كل تهديد على كل احتمال فيما يسامه العرب من مصير لايخطر على عقل من المعقول انه محتمل القبول

يريد الغرب من أمم العرب ، وهى قرابة خمسين مليونا ، أن تســاوى مليونا ونصف مليون من الصهيونيين فى القوة العسكرية والقوة الاقتصادية من باب أولى ، وهى فى العصر الحاضر ــ بل فى جميع العصور ــ أهم من كل قوة عسكرية

وهذا هو الذى يسمونه سياسة التوازن بين العـالم العربى ودويلة اسرائيل

لايجوز لخمسين مليونا أن يطمحوا



الى درجة من التقدم والقوة تزيد على قوة مليـــون ونصف مليـــون من الصهيونيين

أى خطر أكبر من هذا الخطر يهدد العالم العربى فى المستقبل البعيد أو المستقبل القريب ؟

ان الكرة الأرضية لا تحمل على ظهرها انسانا يبغض الشيوعية أشد من البغض الذى يحيك لها فى نفس كاتب هذه السطور ورأسه ، من قبل الشعور أو من قبل التفكير

ولكننى أفرض أبعد الفروض وهو تحقق الخطر الأكبر من الكتلة الشرقية وشيوع مذهبها فى الأمم العربية :

أفرض هذا مع أنه عندى فى حكم المستحيل لأنه يقضى على العقائد والمأثورات التى صمدت للتجارب فى كل محنة من محن الشعوب والمجتمعات

وأفرض هـــذا مع ذاك فما هى النتيجة بعد هذا الخطر الوبيل ؟

النتيجة أن الشيوعية مذهب زائل لا يوجد الآن الا باسمه وعنوانه ولا يوجد بعد عشرين سنة باسم ولا بعنوان

هـــذا هو أقصى الخطر من الكتلة الشرقية فى المحاولات السلمية ، ولا نتحدث عن هذا الخطر من الوجهـــة الحربية فانه لا يعنى العرب منفردين

ولكن ما القول فى خمسين مليونا يحكم عليهم أبد الآبدين ألا يزيدوا فى مراحل التقدم الانسانى على مليون ونصف مليون ؟

من الذى يقبل هذا ؟

بل من الذى يستطيع هذا ؟

وكيف يمكن عقلا أن يجهل العرب هذا المصير المشئوم ؟ وكيف يمكن أن يعلموه فيقبلوه ؟ وأي صـداقة يمكن أن يضمرها لهم من يقضى على وجودهم هـذا القضاء من أجل اسرائيل ؟

وأين هو الخطر على العالم ان لم يكن وراء الظواهر سر دخيل قد وشك أن يبرز كالشمس لذى عينين؟ هل الخطر على العالم من العرب أو من اسرائيل التى لاتتحقق مآربها الا بالحكم على خمسين مليونا بالشلل الدائم والعجز عن كل امتداد وراء قوة المليون أو دون المليونين من اسرائيل ؟

يا عرب ... لستم آدميين فى رأينا نحن الغرب وكونوا لنا مع ذلك أصدق الأصدقاء .!

أو يا عرب ... أنتم آدميون كاسرائيل ولكنكم ـ لاجل خاطرنا ـ معطلون أبد الآبدين ، مسئولون اليوم وغدا ألا تطمحوا بأبصاركم جميعا الى قدرة تفوق قدرتهم ، وهم مليون ونصف مليون .!

ليس هذا بحكم اختيار ، وليس هو بحكم ضرورة . لأن أحدا فى الارض لن يملك السلطان الذى يفرض على خمسين مليونا أن يشلوا حياتهم مكرهين

ونحن مع الغرب ـ على هـذه السياسة الخرقاء ـ لانملك أن نجاريه على اختيار ولا على اضطرار

علماؤنا العرب فى رأى الغربيين

■ ان ما قام به أجداد عرب اليوم من خدمات ثمينة للعلم ، يجعل طائفة منهم ـ ولا شك ـ فى صف واحد مع نيوتن وفاراداى وروتنجن

(ويدمان)

■ ربما كانت الكيمياء من بين العلوم خاصة مدينة للعرب بأوفى قسط ، لجابر بن حيان أحد أبطالهم يعد بحق أبا الكيمياء العلمية !

(وولف)

■ ان كتب « جابر بن حيان » فى الكيمياء تعتبر مثالا سامياً لما وصل إليه العقل العربى فى العلم والابداع

(باردليلو)

■ ان شمس عبقرية « ابن الهيثم » الرياضية قد كسفت أنوار كثيرين من عباقرة الرياضة القدماء أمثال إقليدس وبطليموس

(مايرهوف)

■ كان الحسن بن الهيثم بلا جدال أعظم علماء القرون الوسطى !

(صارتون)

« ما احسب ان امة نالت من عنت الغرب وغدره مثل ما نال العــرب على أيدي الحلفـــاء »

وعود زائفة

بذلها الغرب للشرق

بقلم الاستاذ محمد رفعت

وزير المعارف المصرية السابق

ما اشبه الوعود التي بذلها ساسة الغرب للشعوب العربية منذ الحرب العالمية الاولى بالصكوك المالية الزائفة التى يصدرها بعض التجار الخبثاء الذين يوشكون ان يفلسوا ، حتى اذا حملها أصحابها الى المصارف لم يستطيعوا صرفها .. فاذا هم طالبوهم أو قاضوهم بعد زوال محنتهم ، عاد الخبثاء فانكروا توقيعاتهم وتنكروا لواثيقهم واستكبروا استكبارا . وما أكثر ما بذل الحلفاء من وعود فى أثناء الحربين العالميتين لا للشعوب العربية وحدها ، بل للانسانية وللعالم أجمع . فقد منوا الناس فى أثناء الحرب العالمية الاولى بأنها هى الحرب التى ستنهى الحروب كافة ، وتجعل الشعوب جديرة بأن تحيا حياة ديمقراطية ناعمة آمنة . ثم لم يكد يمضى ربع قرن من الزمان حتى عادت الحرب من جديد أشد ما تكون فتكا وأكثر تدميرا . ونادوا بحق الشعوب فى تقرير مصائرها وببطلان المعاهدات السرية بين الحكومات وبنزع السلاح أو تخفيفه ، وبالمساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم وألوانهم .. فاذا جميع هذه المبادىء ونظائرها لم تكن سوى زخرف من القول استهوى به الحلفاء أفئدة الناس فى ظلمة الحرب ، حتى اذا دقت أجراس النصر وانبثق فجر السلام واجتمع الحلفاء فى فرساى يرسمون الخرائط ويضعون القواعد للعالم الجديد .. ألفيت المبادىء التى بشروا بها ، قد اخذت تذوب وتتبخر وتصبح هباء

□

وما أحسب أن أمة نالت من عنت الغرب وغدره بعد الحرب العالمية الاولى مثل ما نال العرب على أيدى الحلفاء . فما كادت تركيا القديمة تعلن انحيازها الى جانب المانيا والنمسا ضد الحلفاء حتى اضطرها الالمان الى اعلان الجهاد الدينى ضد روسيا والدول الغربية . ولو كانت الشعوب العربية حينذاك على سجيتها الاولى من السذاجة والتعصب الاعمى والجهل بدروس القومية والوطنية التى جعل الناس

يتداولونها ويتذاكرونها فى كل مكان منذ أواخر القرن التاسع عشر لهب المسلمون عامة والعرب خاصة من كل صقع وصوب لنجدة سلطان العثمانيين وخليفة المسلمين، ولتعلو على جيوش الحلفاء ادراك النصر وكسب الحرب فى بلاد المشرق

أما وقد ارتفعت صيحة الجهاد الدينى من تركيا والوطنيون العرب دائبون على العمل سرا وعلانية للتخلص من نير الطغيان التركى الذي جثم على صدورهم قرابة أربعة قرون ، فانهم رأوا فى دخول تركيا الحرب — وهي على ما كانت عليه اذ ذاك من ضعف وتفكك — فرصتهم السانحة للتحرر والاستقلال

وقد ظن فريق منهم فى أول الامر ان تضامن العرب مع الاتراك وهم فى شدتهم قد يتيح لهم الفوز باستقلالهم متى انتهت الحرب بانتصار دولتى الوسط . ولكن قادة الرأى العارفين بحقائق الامور كانوا يدركون أن انتصار الالمان لا بد ان يكون معناه مد سلطانهم وتحقيق مطامعهم فى بلاد الشرق الاوسط ، وأن نصيب العرب من ذلك كله لن يكون فى آخر الامر اكثر من أن يستبدلوا بالحكم التركى الظالم نظاما بروسيا حديديا

لذلك تردد العرب قليلا فى أول الامر ، ثم ما لبثت المفاوضات ان دارت بينهم وبين الشريف حسين امير مكة من جهة ، وبين الشريف حسين — وهو حينذاك الناطق بلسان الوطنيين العرب — وبين المندوب السامى البريطانى فى مصر الناطق باسم حكومته من جهة اخرى . وأسفرت المفاوضات عن المكاتبات الرسمية المشهورة التى تبودلت بين الجانبين .. وفحواها انه اذا انحاز العرب الى جانب الحلفاء واعلنوا ثورتهم على الترك ، فان الحكومة الانجليزية تتعهد بنصرتهم والاعتراف باستقلال بلادهم بعد الحرب . وكان الشريف حسين قد حدد تخوم بلاد العرب شرقا بخليج فارس وغربا بالبحر المتوسط وجنوبا بالمحيط الهندى وشمالا بجبال طوروس وبعض بلدان الاناضول بآسيا الصغرى . وارادت الحكومة الانجليزية أن تتحفظ فى تعهداتها للعرب فاستثنت من داخل هذه الحدود مستعمرتها فى عدن ومصالحها فى المحميات والامارات الواقعة على خليج فارس والجزء الجنوبى من العراق . كما أنها ارادت أن تحافظ على مصالح حليفتها فرنسا فاستثنت أيضا البلاد الواقعة غربى دمشق وحمص وحلب وحماة ، بحجة ان المسيحيين يوجدون بكثرة فى تلك البقاع . وقد رد الشريف حسين على ذلك بحق بأن وجود المسيحيين فى تلك المنطقة لا يمنع ان يكونوا عربا ، ذلك لان المسلمين والمسيحيين فى تلك الارجاء ما هم الا اخوة من جنس عربى واحد

ولما كانت الحرب اذ ذاك فى أوج شدتها ، فان العرب لم يشاءوا أن يتشددوا ويسيئوا بذلك الى مركز الحلفاء ، فقبلوا بعض تحفظات الحكومة الانجليزية ، وارجأوا البعض

الآخر الى ما بعد الحرب . وظاهر أن ما قصد بالمنطقة الواقعة غربى دمشق انما هى لبنان ، وكانت لفرنسا فيها روابط اقتصادية وثقافية ودينية قد يتعذر فصمها حينذاك . أما فلسطين فلم يأت ذكرها لا نصا ولا ضمنا فى تلك المكاتبات الرسمية اذ كانت فلسطين داخلة قطعا فى نطاق سوريا والدولة العربية المرتقبة . ومع ذلك فان الحكومة الانجليزية ما فتئت تعبد وتلح فى القول بعد الحرب بأنها انما قصدت بالمنطقة الواقعة غربى دمشق فلسطين ووضعها خارج حدود الدولة العربية

ولكن ليس غريبا أن تتراجع انجلترا وتتنكر لتعهدها للعرب . فقد ضيق عليها الالمان الخناق فى البر والبحر، وبدا للحكومة الانجليزية أن تستميل اليها الرأى العام الامريكى لعلها أن تفلح فى كسب الولايات المتحدة الى جانب الحلفاء ، فترجح بذلك كفتهم . وكانت تعلم أن جانبا قويا من الرأى العام الأمريكى قوامه العنصر اليهودى المتغلغل فى جميع مرافق الحياة الرسمية والشعبية فى البلاد . وعلى ذلك سافر مستر بلفور وزير الخارجية الانجليزية الى أمريكا فى نوفمبر سنة ١٩١٧ واصدر تصريحه الشهير ضمن خطاب وجهه الوزير المذكور الى لورد رتشيلد زعيم اليهود فى انجلترا وفيه يقول « ان الوزارة الانجليزية تنظر بعين الرضاء الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .. وانه مع هذا لن يعمل شىء يمس الحقوق المدنية او الدينية للطوائف غير اليهودية التى تقيم فى فلسطين»

وظاهر أن فى هذا التصريح الذى اعلنته انجلترا دون اى تشاور مع أصحاب البلاد او مع حليفهم الشريف حسين اخلالا صريحا لوعودها السابقة ومجافاة صارخة لأبسط مبادىء العدالة وحقوق الشعوب . وقد كان انشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين - كما يعلم الناس جميعا - مقدمة لأقسى ما تعرض له العرب وسائر بلاد الشرق الاوسط فى تاريخه الحديث من قلاقل وثورات واغتيالات وحروب ودسائس ومؤامرات متلاحقة مما لا تزال آثارها تهدد قواعد الأمن والسلام

واشد من ذلك وأوغل فى نكث العهود وامتهان حقوق الشعوب ما جاء فى المعاهدة السرية التى عقدتها انجلترا فى اثناء الحرب مع حليفتيها فرنسا وروسيا قبيل ثورتها البلشفية . وكان الغرض من المعاهدة تقسيم مناطق النفوذ فى أملاك تركيا بين الدول الثلاث بعد الحرب . ويهمنا من هذا التقسيم اتفاقهم على أن تكون سوريا ولبنان فى منطقة نفوذ فرنسا ، وأن يكون العراق فى منطقة النفوذ البريطانى ، وأن ينشأ لفلسطين ادارة دولية لا يتقرر شكلها النهائى الا بعد الاتفاق مع سائر الحلفاء بشرط أن يكون لبريطانيا ميناءا حيفا وعكا . ومع أن الاتفاق مع العرب كان اذ ذاك قائما ومداده لم يجف بعد ،



الشريف حسين « ملك الحجاز سابقا »



الملك عبد العزيز آل سعود

فان الحكومة الانجليزية قد ناقضت بهذه المعاهدة تعهدها للعرب ، كما ناقضت هذه المعاهدة ذاتها باعلانها تصريح بلفور المعروف

وعبثا حاولت بريطانيا بعد ذلك أن تصحح من اخطائها وتستغفر من خطاياها وذنوبها مع العرب، فجعلت الامير فيصل بن الشريف حسين يدخل دمشق الى جانب القائد اللنبي دخول الفاتحين الظافرين ، وتركته يقيم حكومة-قومية عربية فى دمشق حاضرة الشام . ولكن حليفتها فرنسا قد وقفت لذلك كله بالمرصاد ، وكانت قد تنمرت بعد كسب الحرب ، وصممت على تنفيذ اتفاقها السرى مع بريطانيا فى بلاد الشرق ولو بالقوة . وعلى ذلك زحفت قواتها ضد العرب وهاجمت دمشق وطاردت فيصل وحكومته واتباعه واقامت فى البلاد الحكم الفرنسى الاستعمارى المعروف ، وفقا لنظام الانتداب الذى اصطنعته عصبة الامم تمويها على الشعوب المستضعفة

وعلى الرغم من ان ميثاق عصبة الامم قد نص صراحة على انه فى حالة الشعوب الراقية التى كانت تحت حكم الاتراك والتى وصلت فى رقيها الى درجة تدعو الى الاعتراف مؤقتا باستقلالها ، فان مسئولية الدولة المنتدبة يجب أن تقتصر على تقديم المشورة والمساعدة الادارية . كما انه نص فوق ذلك على وجوب استقصاء رغبات الشعوب قبل تقرير الانتداب . على الرغم من ذلك كله فان فرنسا قد فرضت نفسها فرضا على سوريا ولبنان ، كما فرضت انجلترا نفسها على العراق وفلسطين

وعلى ذلك انفض السامر وانجلى الموقف عن وقوع الشعوب العربية فريسة للحكم الاستعمارى . ولم ينج من هذا المصير سوى الحجاز ،

وهو اذ ذاك اقل البلاد العربية حظا من المدنية والرقى وابعدها عن النظم الديمقراطية الصحيحة . فقد اقر مؤتمر الصلح فى فرساى استقلال الحجاز واعلان الشريف حسين ملكا عليه . اما نجد واميره حينذاك عبد العزيز آل سعود ، فكان امارة مستقلة تربطه مع بريطانيا - عن طريق حكومة الهند - معاهدة سياسية ومساعدات مالية ، شانه فى ذلك شأن الحجاز نفسه

وتابعت بريطانيا سياستها فى مصالحة الاسرة الهاشمية ، فعوضت فيصل عن سوريا بتاج العراق وارضت اخاه الامير عبد الله ، فاقتطعت له من فلسطين وسوريا وشبه الجزيرة امارة شرق الاردن ونصبته اميرا عليها . غير أن حليفها الملك حسين كان قد استغواه سقوط السلطنة العثمانية على ايدى الكماليين ثم الغاء الخلافة بعد ذلك فركب رأسه واستولى عليه الغرور ، وظن انه الوارث الطبيعى لآل عثمان فاعلن نفسه خليفة على المسلمين عام ١٩٢٤ دون اى اعتبار لآراء المسلمين عامتهم وملوكهم وامرائهم ورؤسائهم . وماكان الشريف حسين ليجرؤ على مجابهة الراى العام الاسلامى بهذا الادعاء ، لولم تكن الحكومة الانجليزية مواطئة له على هذا الامر . على ان امير نجد لم يكن ليسكت على هذا الوضع وسرعان ماتحركت قواته قاصدة ان تضع حدا لادعاءات ملك الحجاز . وماهى الا اسابيع قليلة حتى انهار ملك الحسين ودان لآل سعود الحجاز وسائر شبه الجزيرة عدا اليمن وامارات الخليج الفارسى .

على ان نكث الغرب لعهودهم وتحيفهم للعرب لم يقتصر على خيانة قضيتهم الكبرى من حيث المبدأ ، بل ان فرنسا فى تنفيذ انتدابها قد سامت العرب فى سوريا ولبنان اسوأ انواع التحكم والجبروت فعمدت اولا الى تمزيق الرقعة السورية ، ففرقت بين سوريا ولبنان وانشأت الى جانبهما دويلات محلية مستقلة كجبل الدروز واقليم العلويين وسنجق اسكندرونة . وقد ظنت فرنسا بعملها هذا أنها تستطيع ان تسود على شعوب بلاد الشرق كما سادت فى آسيا وافريقيا ، فتطبع شعوب تلك المنطقة بالطابع الفرنسى وتدمجهم رويدا رويدا فى بوتقة الجنسية الفرنسية . ونسيت أن العرب فى شرق البحر المتوسط شعوب راقية لها لغتها العريقة وفنونها وآدابها ، وكانت ارضها مهبط الديانات الوحدانية الاولى ولها على ماضيها المجيد شواهد وآثار تحفزها الى العمل على استرداد ذلك المجد الغابر

▭

وليس ادل على الغدر وخيانة العهد من جانب الغرب من الحادثين الآتيين اللذين اسوقهما لمجرد الاستدلال لا على سبيل الحصر . الاول هو حادث اسكندرونة والمذنبة فيه هى فرنسا . فقد كانت اسكندرونة داخلة فى حدود سوريا وقد سرى عليها ماسرى على سائر الاقاليم العربية التى كانت تابعة لتركيا

وتحررت في نهاية الحرب . فلم تكتف فرنسا بان جعلت من هذا الميناء الخطير سنجقا مستقلا عن سوريا بل انها اتخذت لنفسها حقوق المالك الشرعي للاقليم ، واخذت تفاوض تركيا وتساومها بشأنها . وكانت تركيا تعمل على فصل اسكندرونة عن سوريا كي تستأثر بها اذا ما استقلت سوريا ولبنان . ومع ان اللجنة التي عينتها عصبة الامم لبحث الموضوع قد قررت حيدة اسكندرونة واستقلالها تحت اشراف العصبة ، وعلى الرغم من ان وثيقة الانتداب تحرم على الدولة المنتدبة التصرف في املاك البلاد المنتدبة لها ، فان الحكومة الفرنسية ـ رغبة منها في استمالة تركيا قبيل قيام الحرب العالمية الثانية ـ قد تخلت لها في يونية سنة ١٩٣٩ عن اسكندرونة من تلقاء نفسها ومن غير أن تستشير سوريا صاحبة الحق الاول في المنطقة

▭

اما الحادث الثاني فهو انهاء الانتداب الانجليزي على فلسطين ، والمذنبة فيه هي المملكة المتحدة . فليس من شك في ان المسئول الاول عن قيام صهيون واقحام هذا العنصر الغريب الدخيل في محيط الشرق الاوسط هو انجلترا ووزيرها الذي اصدر وعده المشهور . اما الولايات المتحدة فهي التي تبنت اسرائيل وكفلتها بعد ان جحدها ابوها الفاعل الاصلي . وهذا الفاعل الاصلي لم يترك وسيلة في اول الامر لدعم النفوذ الصهيوني في البلاد وتقويته لدرجة جعلته يطغى لا على العرب اصحاب البلاد فحسب بل على الانجليز انفسهم اصحاب القوة والانتداب ، حتى اذا اوشكت نيران الحرب العالمية الثانية ان تندلع سارعت انجلترا الى تصحيح مركزها في الشرق الاوسط ولكن بعد فوات الاوان . فدعت الى لندن في عام ١٩٣٩ مؤتمرا يمثل الدول العربية المستقلة

وكان اجتماع هذا المؤتمر اول اعتراف رسمي من انجلترا بمصالح الشعوب العربية في فلسطين ، كما كان الخطوة الاولى في سبيل انشاء جامعة الدول العربية قبيل نهاية الحرب . ولما لم يسفر اجتماع المؤتمر عن قرارات نهائية اصدرت الحكومة الانجليزية كتابها الابيض المعروف في مايو سنة ١٩٣٩ وفيه قررت صراحة ان ليس من اغراضها تكوين دولة يهودية في فلسطين .. وانما هي تهدف الى تكوين حكومة مستقلة لفلسطين تتألف من العنصرين العربي واليهودي وذلك في مدى عشر سنين ووضع الكتاب الابيض حدا لعدد المهاجرين من اليهود فقرر الا يزيد عددهم في النهاية على ثلث سكان البلاد كما حرم الكتاب بيع اراضي العرب لليهود الا بشروط خاصة وباشراف الحكومة

▭

ولكن لم تمض بضعة اسابيع على ظهور الكتاب الابيض حتى قامت الحرب العالمية الثانية واصبحت حاجة انجلترا شديدة الى معاونة العرب واليهود كليهما . وعلى ذلك

عمد الانجليز الى ترضية اليهود واغفال ما اغضبهم من قرارات الكتاب الابيض فاستغلت انجلترا مصانعهم وعمالهم ومتطوعيهم . ولقد اتخذ اليهود من انضمامهم الى صفوف الحلفاء ستارا اخفوا وراءه نيات اجرامية مبيتة واغتنموها فرصة للتمرن على استعمال الاسلحة المختلفة وادخروا من السلاح والذخيرة الحربية كميات هائلة مالبث ان ظهر اثرها ضد العرب وضد الانجليز انفسهم بعد الحرب

على ان نصيب العرب فى معاونة الحلفاء فى اثناء الحرب كان عظيما وخطيرا . فحسب العرب انهم اخلدوا الى السكون وعاونوا فى الحرب ضد قوات حكومة فيشى فى سوريا ولبنان وانهم لم يخفوا لمعاونة الثوار فى العراق واحراج مركز الحلفاء فى الشرق الاوسط . بل ان ماقدمته مصر من الخدمات والمساعدات للحلفاء فى احرج ساعات الحرب كان باعتراف قادتهم اكبر معين لهم على كسب معركة « العلمين » الحاسمة فى تاريخ الحرب العالمية الثانية

ومع ذلك فان انجلترا بعد انتهاء الحرب قد جزت العرب كما جزى سنمار . وكانت بعد الحرب قد خرجت مثخنة بالجراح مثقلة بالديون والالتزامات فجعلت تحرر نفسها شيئا فشيئا من مسئولياتها التى كانت تضطلع بها حين كانت سيدة البحار فى العالم . فنزلت عن حكمها فى الهند وسيلان وبورما وتركت امريكا تتحمل مسئوليات البلقان ومساعدة تركيا واليونان ضد خطر الشيوعية . ثم ها هى ذى تنفض يدها من فلسطين . فتألفت لجنة دولية لتحرى موضوع النزاع وتقدمت اللجنة بمقترحاتها التى اقرتها الجمعية العامة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ . ويقضى القرار بان تقسم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وان يتكون من الدولتين اتحاد اقتصادى وان تترك مدينة القدس تحت الوصاية الدولية

ولاول مرة فى هيئة الامم اتفقت كلمة الولايات المتحدة وروسيا فى موضوع هام كهذا . اما انجلترا فامتنعت عن التصويت وكان حقا عليها بصفة كونها الدولة المنتدبة المسئولة عن تحمل امانة الحكم فى فلسطين ان تبقى فى البلاد حتى تنفذ قرارات هيئة الامم وتؤمن العرب على حقوقهم وتوطد فى المنطقة دعائم الامن والسلام .. ولكنها سرعان ما اعلنت قرارها بتصفية الانتداب وحددت يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ لسحب موظفيها وجميع قواتها من البلاد غير عابئة لا بقرارات هيئة الامم ولا بمصالح البلاد الكبرى . وبذلك هيأت الجو الصالح للصهيونيين يضعون ايديهم على مرافق البلاد ومراكزه الحيوية ويسيرون دفة الحكم حتى قبل جلاء الانجليز عنها

تلك كانت ارادة الحكومة الانجليزية ومن ورائها امريكا وهيئة الامم . ولكن للشعوب الحية ارادة اخرى هى فى النهاية اغلب وابقى على الزمن . وهيهات للشعوب العربية أن تسلو او تنسى

قضية فلسطين – بلغة الارقام – قضية حياة او موت ، لاتنفع فيها انصاف الحلول

لا سلم في الشرق

مادام الغرب مخدوعا بالدعاية الصهيونية

بقلم الدكتور رئيف أبي اللمع

الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية

لا ابغي في هذا المقال العودة الى ما رددته الالسنة والاقلام مرارا وتكرارا من ان فلسطين بلاد عربية ، فتحت ابوابها بريطانيا لليهود سنة ١٩١٧ ، وخططت حدودها الولايات المتحدة سنة ١٩٤٧



كذلك لا ابغي العودة الى ترديد مسرحيات الانتداب البريطاني على فلسطين ، وحرب فلسطين ، وهدنة رودس ، وقرارات الامم المتحدة

لم يعد للقول مجال ولم يبق للكلام اية فائدة . فالقضية اليوم ، بالنسبة للشعوب العربية ، هي قضية حيوية ، لا تحلها الحجج والبيانات ، ولا تنفع فيها انصاف الحلول !

انما الذي اوده هو ان استعرض امام القارىء اربع حقائق ، لا برهان عليها الا برهان الواقع ، ولا حجة لها الا حجة الارقام

اولا – المساعدات الامريكية

فيما بين نوفمبر سنة ١٩٤٨ ويونيو سنة ١٩٥٣ نالت اسرائيل من الولايات المتحدة اعانات حكومية ، وقروضا اهلية ، ومساعدات من النقطة الرابعة حسب البيانات الرسمية ، ما قيمته ٣٠٠ مليون دولار

ونالت ايضا من الهبات الخاصة ، ومن بيع السندات الاسرائيلية ، ما يزيد على مبلغ ٦٠٠ مليون دولار

ومن سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥٣ حصلت على اعانات ، وهبات ، وقروض ، واسلحة حربية ، وآلات صناعية ، ومساعدات من النقطة الرابعة ، يبلغ مجموعها ١٠٠٠ مليون دولار . اي ان بلادا يبلغ مجموع سكانها ١ر٦٠٠ر٠٠٠ نفس وتبلغ مساحتها ٧٨٠ ميلا مربعا نالت من المساعدات الامريكية في مدة ٥ سنوات ١ر٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ – الفا وتسعمائة مليون دولار !

وفى تلك السنوات نفسها ، نالت الدول العربية السبع ، اى مصر ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ،والاردن والمملكة العربية السعودية ، واليمن التى يبلغ مجموع عدد سكانها ٤٨ مليون نسمة - اى ثلاثين مثلا لعدد سكان اسرائيل - والتى تبلغ مساحتها ٢٣٤٠٠٠ ميل مربع - اى ثلاثمائة مثل لمساحة اسرائيل - اعانات مالية ، وقروضا حكومية ، ومساعدات من النقطة الرابعة يبلغ مجموعها ٨٨ مليون دولار . كما اعطيت ١٥٣ مليون دولار ، لا للحكومات لتحسين احوالها العلمية والصناعية والزراعية ، بل لوكالة اغاثة اللاجئين المنبثقة عن الامم المتحدة لاعاشة اولئك الابرياء الذين اخرجتهم القوة الظالمة من بلادهم فى غفلة من الضمير العالمى ، وذلك لحفظ حياتهم من خطر الجوع والمرض ، لا لتمكينهم من استعادة حقهم السليب والعودة الى ارض الوطن

فتكون الاعانة التى نالها كل اسرائيلى فى هذه الخمس السنوات ١١٩ دولارا ، والاعانة التى نالها كل عربى فى المدة نفسها اقل من دولارين!

واذا اخذنا عدد السكان بعين الاعتبار ، كانت الاعانة التى وهبتها الولايات المتحدة لاسرائيل اكبر اعانة وهبتها لاية بلد من بلدان العالم على الاطلاق !

ثانيا - قرار الامم المتحدة

ان القرار الذى اتخذته الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ القاضى بتقسيم فلسطين وانشاء دولة اسرائيل فى قسم منها ، وافق عليه ممثلو دول يبلغ عدد سكانها ٥٦٠ مليون نسمة

وخالف فيه ممثلو دول يبلغ عدد سكانها ٤٨٠ مليون نسمة

وامتنع عن التصويت ممثلو احدى عشرة دولة يبلغ عدد سكانها ٦٢٠ مليون نسمة

اى ان الامم المتحدة - ذلك البرلمان العالمى اذا صح التعبير - اخذت برأى ٣٣ ٪ بينما خالف ذلك القرار ٢٩ ٪ وامتنع عن التصويت ٣٨ ٪ والامتناع عن التصويت مخالفة اكثر منه موافقة ! عدا ان هناك بلدانا يزيد عدد سكانها على ٨٠٠ مليون نفس لم يقر اسياد العالم حتى الآن ان سكانها من البشر ، ولم يأذنوا لها فى دخول الامم المتحدة

ثالثا - البترول العربى

ان البلاد العربية تختزن فى ارضها من ٥٠ الى ٥٥ بالمائة من مجموع البترول الموجود فى العالم . ويبلغ ما يستخرج منه مليونى برميل فى اليوم

ففى سنة ١٩٣٨ كان ٢٥ ٪ مما تحتاجه بلدان اوربا الغربية مستوردا من البترول العربى

وفى سنة ١٩٤٨ استوردت ٦٢ ٪ وفى سنة ١٩٥٣ بلغ ما استوردته ٩٧ ٪

فاذا ما توقفت هذه الانهار

البترولية عن ارواء محركات اوربا الغربية وقفت جميعها عن العمل

رابعا — التعويضات الالمانية

بعد مفاوضات ، شاقة وطويلة ، خضعت حكومة المانيا الغربية الى الضغط الامريكى واضطرت الى عقد قرض فى الولايات المتحدة قيمته ٨٢٢ مليون دولار ، دفعته تعويضا عن الاضرار التى الحقها هتلر باليهود

ولمن دفعت هذ الغرامة ؟

لم تدفع الى الذين لحقتهم تلك الاضرار ولا لورثتهم ، بل دفع ٧٢٠ مليون منها الى اسرائيل ! و ١٠٠ مليون دولار الى المؤسسات الصهيونية فى الولايات المتحدة

اما المانيا الشرقية فقد فرضت عليها غرامة قدرها ٥٠٠ مليون دولار ولكنها رفضت ان تدفع

السلم فى الشرق الاوسط

فى سنة ١٩٥٢ وقف شارل مالك سفير لبنان فى واشنطون خطيبا على منابر الولايات المتحدة يحذر ويقول :

«اذا استمرت تلك الغطرسة ، واذا تكرر ذلك التحدى من جانب اسرائيل اتكالا منها على عطف حكومة الولايات المتحدة ، وعلى سلامة طوية الراى العام الامريكى الذى خدعته الدعاية الصهيونية ، فلا يمكن ان يكون فى الشرق سلم »

الشعور الوطنى

● قد يضل الانسان فى أمور كثيرة ويخطىء فى مسائل عدة ، ولكن هناك شيئا واحدا لا يضل المرء فيه ، ولا يخطىء أبدا فى تقديره وتكييفه واظهاره بكل مظاهره . وذلك هو الشعور الوطنى

● اذا صح التسامح فى بعض الامور وفى ظروف معينة ، فان التسامح فى الوطنية اعدام لها وقضاء عليها ، وأن من يتسامح فى حقوق بلاده ولو مرة يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان

● لو تخطفنا الموت من هذه الديار واحدا بعد آخر ، لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا : « كونوا أسعد حظا ، وليبارك الله فيكم ويجعل الفوز على أيديكم ، ويخرج من الجماهير المئات والألوف بدل الآحاد للمطالبة بالحق الوطنى والحرية الأهلية والاستقلال المقدس »

(مصطفى كامل)

لن يوجد سبيل للسلام والوئام بين الامم اذكى من الفن وسوف يقوم الفن الاسلامى بدور هام فى مصائر المستقبل

الفن الاسلامى

كيف أثر فى حياة الغربيين ؟

بقلم الأستاذ ريتشارد أتنجاوزن

أمين الفن الاسلامى بمتحف فرير بوشنطون

ظل المام الغرب بفنون الشرق الاسلامى ضيقا محدودا طوال العصور الوسطى، حين وقف الاسلام والمسيحية كل منهما فى معسكر مضاد لأخيه . وبالرغم من ذلك استقبلت بلاد المسيحية نماذج الفنون الاسلامية بتقدير كبير ، وغدت المنتجات الفنية التى أبدعتها أيدى المسلمين موضع تشريف فى أوساط مسيحية، خالتها جديرة بأن تقرن بأعظم أدوات القداسة فى الكنائس . من الدليل على ذلك أن أعظم كتدرائيات المسيحية استخدمت بعض المنسوجات الرفيعة من مختلف دور الطرز الاسلامية ، غطاء شفافا لحفظ مخلفات القديسين المسيحيين ، أو طراحة أسقفية للصلوات الدينية . بل صارت بعض هذه المنسوجات بذاتها موضع قداسة . وفى كثير من الأحوال اشتملت هذه المنسوجات على كتابات عربية بعضها تسبيحات باسم الله ، ولكن هذه الدلائل على أصولها الاسلامية لم تمنع من الاعجاب بها ، واستعمالها فى طقوس كنسية مسيحية

وأكثر من هذا ، أن المصورين المسيحيين أواخر العصور الوسطى ، وأوائل عصر احياء العلوم فى أوربا ، درجوا على زخرفة أذيال الملابس فى صور العذراء غالبا بأشكال وتزويقات من الكتابة العربية . ولا يقل عن ذلك أهمية ومعنى أن بعض الكنائس المسيحية فى العصور الوسطى استادت فى طقوسها الدينية أدوات وأوعية من البللور



عشق بعض الفنانين فى بلاد الغرب الزخارف الاسلامية . وهذه احدى التحف التى كان يقتنيها الفنان الالمانى « هولباين »

الصخرى المزوق ، مما يرجع صنعه الى مصر ، على عهد الأخشيديين والفاطميين ، فى القرنين العاشر والحادى عشر الميلادى ، وذلك بوضع هذه الأشياء الأثرية الاسلامية أو أجزائها فى الأدوات والأوعية الكنسية ووضع الأحجار الكريمة فى المعادن المصوغة

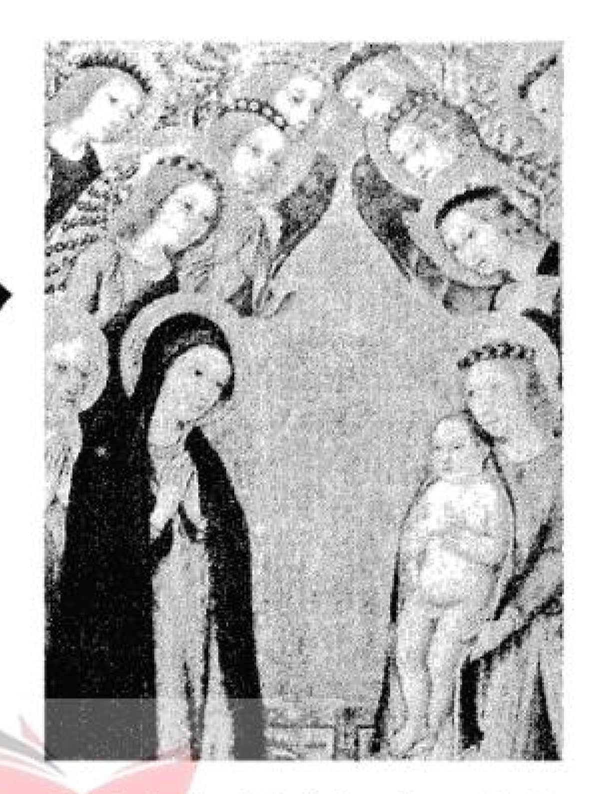


نماذج من الكتابة العربية منقوشة فى هالة العذراء بأحدى الصور الكنسية

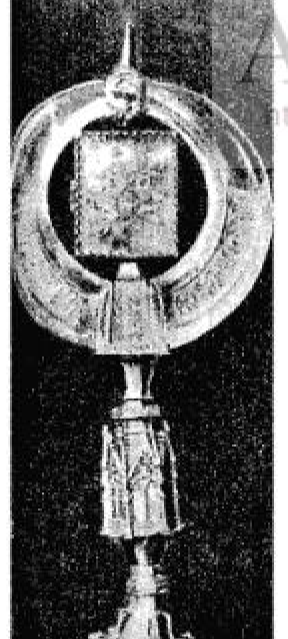
وقد خلقت السجادة الشرقية فى الغرب اعجابا متصلا منذ أواخر العصور الوسطى الى العصر الحاضر، اذازدانت الصور الايطالية من أوائل القرن الرابع عشر الميلادى فصاعدا بأنواع من السجاد الشرقى من مختلف العصور الاسلامية

وفى عصر احياء العلوم فى غرب أوربا ، أعجب الفنانون الأوروبيون بطرق الزخرفة فى الاسلام ، ولا سيما الزخرفة النباتية • ثم لم تلبث هذه الزخرفة أن صارت أسلوبا محبوبا لدى أولئك الفنانين فى النصف الاول من القرن السادس عشر ، وصاروا يحاكونها فى الأوانى والاطباق ، لكن الاهتمام الاوربي العلمى بالآثار الاسلامية ، بدأ منذ القرن الثامن عشر، ومن أول ما وصل الى أوربا من هذه الآثار مجموعة من نقود ذوات سكة كوفية من القرن الثامن الى القرن الحادى عشر - ثم جاءت بعد البحث فى النقود بحوث فى نواح أخرى من الآثار الاسلامية تغلب عليها الصفة التاريخية، وأهمها النقوش والخطوط • وأخيرا شهدت مطالع القرن التاسع عشر يقظة الأوساط الأوربية الى أهمية الآثار الفنية الاسلامية ، ولا سيما الآثار المعمارية، وكانت أسبانيا أول البلاد التى أثارت هذه اليقظة • ثم تخصص كثيرون من الغربيين فى دراسة هذه الآثار • وعلى مر السنين أدى ازدياد اليقظة الى أهمية الفن

سجادة ذات زخارف اسلامية فى تصوير ايطالى من القرن الخامس عشر الميلادى



وعاء للعشاء الربانى جزؤه الاعلى حلية فاطمية من البللور الصخرى



الاسلامى ، فى مختلف البلاد الاسلامية ، الى اعداد القوائم الخاصة والكتالوجات المرتبة ترتيبا علميا ، وهى قوائم المبانى والعمائر ، وكتالوجات الأدوات الأثرية . كما طبعت كتب خاصة بها

وفى أوربا وأمريكا متاحف عدة تضم مجموعات كبيرة من أدوات الفنون الاسلامية ، كما أقيمت لها معارض خاصة فى كثير من بلاد الغرب . وكثر المشتغلون بالحفائر فى البلاد الاسلامية للتنقيب عن الآثار المطمورة لهذه الفنون

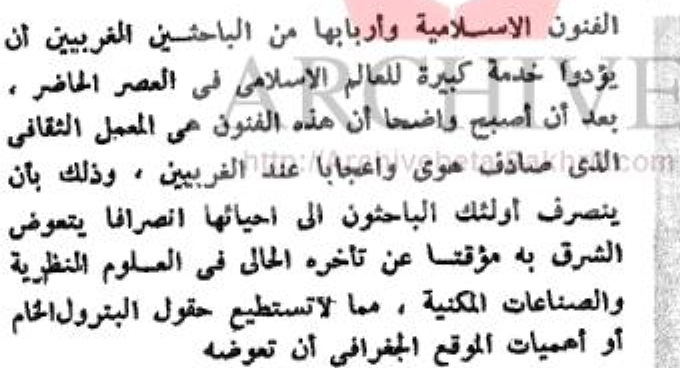
ولا ريب أن للفن الاسلامى ـ بالقياس الى غيره من الفنون ـ جاذبية قوية بين الغربيين من هذا الجيل ، وأن هذه الجاذبية واضحة فى كثير من الحالات . وتستطيع



نمـاذج من الخط الكوفي ، محفورة في باب كاتدرائيـة باحـدى بلاد الغـرب.

وعاء فاطمي من البللور الصخري ، بكاتدرائية القديس مرقص بالبندقية





الفنون الاسلامية وأربابها من الباحثين الغربيين أن يؤدوا خدمة كبيرة للعالم الاسلامي في العصر الحاضر ، بعد أن أصبح واضحا أن هذه الفنون هي المعمل الثقافي الذي صادف هوى واعجابا عند الغربيين ، وذلك بأن ينصرف أولئك الباحثون الى احيائها انصرافا يتعوض الشرق به مؤقتا عن تأخره الحالي في العلوم النظرية والصناعات المكنية ، مما لاتستطيع حقول البترول الخام أو أهميات الموقع الجغرافي أن تعوضه

ومهما يكن من شيء ، فلن يوجد سفير للسلام والوئام بين الأمم أذكى من الفن • وهذه الملحوظات وغيرها اذا اتسعت دوائر فهمها ، فسوف يقوم الفن الاسـلامي بدور هام في مصائر المستقبل

[عن كتاب « الشرق الأوسط في مؤلفات الأميركيين » ترجمة الأستاذ محمد مصطفى زيادة]

نحن والقنبلة الذرية



بقلم الدكتور عبد الحليم منتصر
عميد كلية العلوم بجامعة عين شمس

أذكر أني وقفت منذ عشرين عاما أنافح عن العلم في مناظرة عامة كان موضوعها « تقدم العلم نكبة على الانسانية» . وقد انتصر العلم آنئذ ، ومع ذلك فيبدو أن بعض الناس ــ وخاصة بعد أن لمسوا أخطار الاسلحة الذرية ــ يرون أن العلم نكبة فعلا على الانسانية . ولعلهم نسوا أو تناسوا الجانب المفيد من هذه الاسلحة الذرية ذاتها .. فقد كان في قنبلتي هيروشيما وناجازاكي فصل الخطاب ، ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فور القائهما ، وخرت دول المحور راكعة طالبة الصلح والعفو والسلم . ولعلهم نسوا أو تناسوا كذلك الجانب السلمى من هذه الطاقة الهائلة التى أطلقت من عقالها

والآن ماذا عسى أن تكون هذه «الذرة» التي قيل يوما انها لاتتجزأ ، ومن هم العلماء الذين أسهموا في بحوثها وهاجموا قلعتها الحصينة ، فعرفوا تركيبها ووصلوا الى شطرها وأطلقوا طاقتها من عقالها لتدمرحينا ولتبنى في أغلب الاحيان؟ ان المتفائلين ليتوقعون خيرا كثيرا تصيبه الانسانية من هذه الطاقة التى تختزنها النواة ، فثمة سيارات وقطارات وطيارات تسير كلها دون حاجة الى وقود ، ومن طاقة تذيب الثلوج في المناطق القطبية لعلنا نستفيد منها في زرع أو ضرع ، ومن طاقة تفتك بالميكروبات وتعالج الامراض أو تتحكم في الجو فتسقط الأمطار حينما نشاء ووقتما نريد ، ومن طاقة تدير المصانع تلقائيا دون حاجة الى عمال .. كل هذا الخير ــ وبعضه يكفي ــ الا يشفع ذلك للذرة وطاقتها ، أم لعنة القنبلة الذرية قد شملت العلم والعلماء ولم يعد يشفع لهم ما يقدمونه للانسانية كل يوم من خير ورغد ؟

لقد أصبحت المعرفة الذرية ثقافة ضرورية لكل متحضر ، فما عاد ينبغي أن يجهل أمرها متحضر يعيش على سطح هذا الكوكب . نعم لقد أصبحت الثقافة الذرية لونا من ألوان المعرفة الأساسية ، وما عاد ينبغي أن يختص بها العلماء وحدهم ولا المشتغلون بالعلوم الطبيعية على الخصوص . وقد حدثنا « اوفرمان » العالم الامريكى الذى زار مصر أخيرا وشارك في

أعمال المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في سبتمبر الماضي ، قال انهم يثقفون الامريكيين جميعا ثقافة ذرية ولكن في حدود متفاوتة وعلى درجات متباينة ، فثمة ثقافة عامة مشاعة يلقنونها الشعب كله ، ثم ثانية متخصصة نوعا لطبقة معينة من الشعب ، ثم ثالثة أكثر تخصصا لطلاب العلوم الطبيعية ، ورابعة لطلاب الدراسات العليا ، وخامسة هي الأكثر في التخصص للبحوث الذرية العليا

فأين نحن من هذه المعارف الذرية وما برنامجنا في نشر الثقافة الذرية بين الناس ؟ ان الذرة مع تناهيها في الصغر انما هو عالم مستقل ، تتكون من نواة وسطى تتركب هي الأخرى من عدة جسيمات تربطها ببعضها البعض قوى كبيرة ، ويدور بعيدا عنها سيارات في مدارات مختلفة ، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس . أما النواة — فجسيم شحنته الكهربائية موجبة تدور حوله سيارات صغيرة هي الالكترونات شحنتها سالبة ، وان الالكترونات لتدور حول نفسها هي الأخرى كما تدور الأرض حول محورها . ويختلف تركيب النواة في العناصر المختلفة ، وانها لتزداد تعقيدا كلما ارتقينا في سلم العناصر فتتركب من عدد من البروتونات وعدد من جسيمات أخرى هي النيترونات تساوي كتلتها كتلة البروتون ، وليس لها شحنة كهربائية . ويدور حول هذه النواة عدد من الالكترونات يساوي عدد مابهذه النواة من البروتونات بحيث أن هناك تعادلا كهربائيا بين النواة وبين السيارات التابعة لها والدائرة حولها . وتقدر كتلة البروتون بمقدار ٢٠٠٠ مرة قدر كتلة الالكترون وتساوي شحنته الموجبة شحنة الالكترون السالبة . ففي عنصر البلوتونيوم كتلة النواة تساوي ٢٣٩ مرة كتلة نواة ذرة الايدروجين وبها ٩٤ بروتون ، ١٤٥ نيتروتا ويدور حولها ٩٤ الكترونا سالبا أي بعدد ما بها من البروتونات الموجبة . ويلاحظ أن ٢٣٩ هي ٩٤ + ١٤٥ وطبيعي أن يقصر الخيال عن تصور مدى صغر هذه الجسيمات المختلفة وكيف تتحرك الالكترونات في مدارات مختلفة حول النواة ، صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه ..

أما العلماء الذين أسهموا في كشف عالم الذرة فليس الى حصرهم من سبيل ، فالنتائج العلمية انما هي سلسلة محكمة الحلقات، وتتتابع هذه الحلقات منذ أقدم العصور حتى اليوم . ولا شك أن عددا كبيرا من العلماء قد أدلى بدلوه بطريق مباشر أو غير مباشر في كشوف الذرة ، ولكن علينا أن نذكر بالاكبار والاجلال هؤلاء المحدثين الذين أدانوا قطوفها من أمثال بيكريل وكوري وهان شترسمان واينشتين وكوكرفت والتن وفرمي ورذرفورد وغيرهم وغيرهم . كانت الطاقة التي يمكن أن تنتزع من الذرة هي الحلم السعيد الذي راود خيال أمثال هؤلاء العلماء . وقد حسب اينشتين أن

جراما واحدا من المادة يمكن أن يتحول الى ...ر...ر...ر...ر١ وحدة من وحدات الطاقة وهى الارج أى الى ...ر...ر٢٥ كيلوات ساعة

وتمتاز الطاقة الذرية بأنها مركزة، وهى فى ذلك تختلف عن الطاقة التى يمكن الحصول عليها من الرياح أو الشمس أو البحر او البخر او مساقط المياه

على أن للطاقة الذرية فى السلم مزايا أعظم منها فى الحرب ، فالنظائر المشعة عظيمة الأثر فى العلاج وفى الزراعة وفى البحوث العلمية فى النبات والحيوان والكيمياء والطبيعة، مما فتح آفاقا جديدة فى البحث لعلها ظلت مغلقة حقبا طويلة ٠ وتستخدم النظائر المشعة فى الوقت الحاضر فى الكيمياء فى فصل المواد عن بعضها البعض ، فيوضع الخليط هدفاً لنيوترونات مفاعل ذرى، فتنشط المادتان ، وطبيعى أن تتفاوت درجة نشاطهما الاشعاعى وبالتالى يمكن معرفتهما وفصلهما ٠ كما تستخدم الاشعاعات الذرية لتعقيم الأطعمة ، وتحسين المصابيح الفلوريسية وذلك لتعجيلها فى تأين الغازات ٠كما تستعمل فى الطب ، فيتتبع الطبيب مسار النظير المشع فى جسم المريض ، وبذا يراقب الدورة الدموية ، وتستخدم النظائر المشعة بكثرة فى مستشفيات أمريكا ٠ومن حسن حظ مصر أن أوجد بها مركز للعلاج بهذه النظائر تحت اشراف أخصائيين مدربين فى مستشفى الدمرداش بالقاهرة٠ويقول العارفون ان الطاقة الذرية فى توليد القوى والكهرباء أقل



سنة ١٩٤٨ : بعد أن تبين العلماء فوائد الطاقة الذرية نشط البحث عن مادة «اليورانيوم» وما زال الأخصائيون يبحثون عن مصادر جديدة لهذه المادة فى مختلف بلاد العالم وخاصة فى روسيا وامريكا

حياة الذرة فى ٧ سنوات !

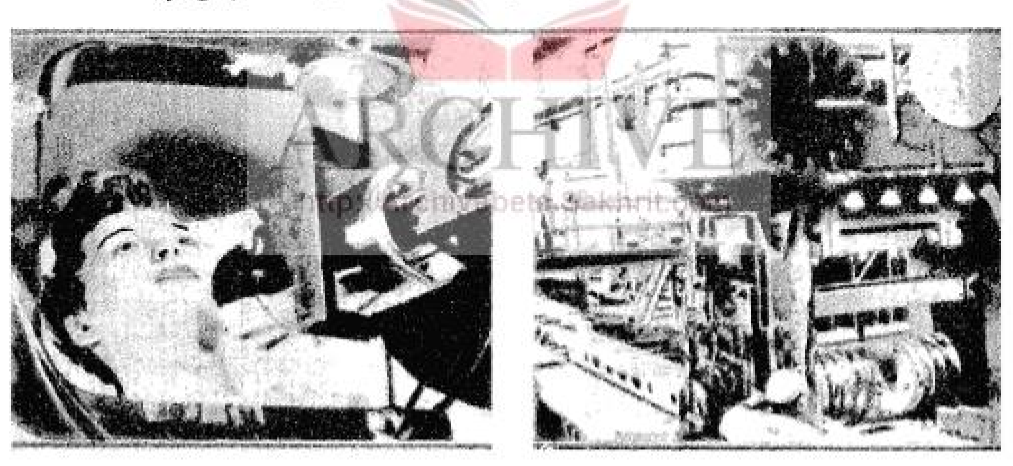
تقدمت البحوث الذرية كثيرا منذ ان ألقيت أول قنبلة ذرية على هيروشيما فى اليوم السادس من أغسطس سنة ١٩٤٥ . ففى خلال السنوات العشر التالية ، تضاعفت المعارف المتصلة بالاشعاعات والحرارة المنبعثة من تفجير الذرة ، واصبح من الميسور التحكم فيهما واستخدامهما كما نستخدم النار والكهرباء ، وامكن الافادة من المواد المشعة فى كثير من البحوث الطبية.وما زال المجال متسعا أمام العلماء للكشف عن فوائد جديدة

وتمثل الصور المنشورة هنا ، مراحل التقدم الذرى فى السنوات السبع الاخيرة

كلفة من تكاليف الكهرباء الحالية . فان انشاء محطة ذرية لاضاءة القاهرة وادارة مصانعها سوف لاتتكلف أكثر من بضعة ملايين من الجنيهات وتكون قوتها ٧٥٫٠٠٠ كيلوات . ويقول الاخصائيون أن جراما واحدا من يورانيوم ٢٣٥ أو بلوتونيوم ٢٣٩ يكفي لتوليد طاقة قدرها ١٠٠٠ كيلوات لمدة يوم . ومع ذلك فلا ينبغي أن ننسى أن المعارف الذرية تتزايد على مر الأيام ، ومن المحقق أن مثل هذه المحطة ستصبح قديمة أو أثرية بعد مدة قد لاتزيد على العشر سنوات . وعندئذ قد نضطر الى تغيير تصميمها نتيجة للتقدم العلمي السريع . وعلى الجملة فمن المقدر أن تكاليف الكيلوات من الكهرباء الذرية يبلغ نحو نصف التكاليف العادية ، وعلى ذلك تكون الكهرباء الذرية أرخص من الكهرباء الحالية . فلعل من الخير اذن أن نفكر في شراء محطات ذرية عند ما يتاح ذلك

وانه ليكفي أن نعلم ان الطاقة الناتجة من جرام يورانيوم عند انشطاره تساوي نحو ١٣٩ كيلوات ساعة حرارة ، وأن رطل اليورانيوم الطبيعي يعادل ١١ طنا من الفحم وان طنا من يورانيوم ٢٣٥ يعطي ٤٣٠٠ مليون كيلوات ساعة كهرباء

هذه بعض مظاهر الطاقة الذرية، عرضنا لها في هذه العجالة العابرة، فماذا عسى يكون موقف مصر والشرق العربي من هذه المعارف الذرية الواسعة ، ومن هذه التطبيقات الذرية في الحرب والسلم ، وهل من الخير لنا أن نقعد عن اللحاق بالركب،

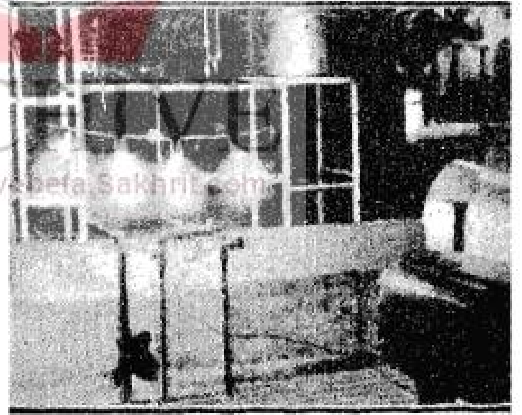


سنة ١٩٤٩ : اخذت الدول تتنافس في انتاج القنابل الذرية فاكتشف الاخصائيون في أمريكا وروسيا طرقا جديدة لانتاجها « بالجملة » . ويقال ان الفريقين أنتجا كميات تكفي لتدمير العالم اذا نشبت الحرب

سنة ١٩٥٠ : افتتحت أقسام عديدة في المستشفيات ومعاهد البحوث ، للعلاج بالذرة ، والكشف عن أثر العقاقير في الجسم بتعريضها للاشعة ثم تتبعها بالكشافات الذرية التي تعرف باسم « جيجر »

خشية ضر قد يصيبنا أو خطأ نقع فيه ، أو تهيب تكاليف لانطيقها ؟ والجواب على هذا التساؤل « لا » • لأنه لاينبغي لنا أن نتخلف عن ركب العلم مهما تكن نتائجه ، فان قعودنا لن يحقق لنا السلامة أبدا •• بل على النقيض نحن أقرب الى السلامة مع الرفاهية والرغد ، ما نهلنا من هذا الفيض الذرى • نعم لاينبغيأن تقفعقبة مهما تكنفي طريقنا،فلدينا العلم ولدينا المال ولدينا الرجال ، فلماذا لانتابع الدراسات وننشىء المعامل ونرسل البعوث ونشترى الأجهزة والأدوات ونبحث ونجرب ونعمل ونضيف الى المعارف الذرية كما يضيف غيرنا ؟

لقداحسنت الدولة صنعا،بتكوين لجنة للطاقة الذرية ، وبتخصيص مليون جنيه ليكون تحت تصرفها ، وأحسنت صنعا بارسال البعوث تلو البعوث الى أركان الارض لتعلم فنون الذرة وأسرارها في أمريكا وانجلترا وروسيا • وأحسنت بتخصيصجوائز مادية وأدبيةللطلاب المتفوقينالذينيتابعون دراسةالطبيعة والرياضة ، ليتخصصوا بعد ذلكفي الشئون الذرية • وأحسنت بالبدء في شراء المفاعلات الذرية والأجهزة الذرية• نعم كل هذا حسن•وكلهيدل على أننا نسير في الطريق الواضحة المعالم المحددة الأهداف ،واذا أتيحلنا أننصنعالقنبلة الذرية،فلملانصنعها؟ وعندئذ سيحسب الغرب حسابنا • ولكن هذه التطبيقات لابد أنتسبقها بحوث ، وللبحث العلمى تكاليفه الباهظة من أجهزة وأدوات ومعامل



سنة ١٩٥١ : نجحت التجارب الاولى لتحويل الطاقة الذرية الى كهرباء . وترى مجموعة من المصابيح ، قوة كل منها مائة كيلووات ، مضاءة بتيار مستخلص من الطاقة الذرية في أحد معاهد الغرب



سنة ١٩٥٢ : مدفع ذرى يرمز الى الاسلحة العديدة الذرية التى ابتكرت في السنوات الاخيرة ، تتراوح احجامها بين حجم المسدسات الصغيرة وحجم المدافع الضخمة التى تلقى القذائف الى مدى بعيد

ومكتبات ، فلا ينبغى أن نضن بالمال على العلم ورجاله .. فلننفق، فى هذا السبيل بسخاء ، فالعلم هو القوة والقوة هي العلم ، والعلم وسيلتنا الأولى والأخيرة لنحيا حياة حرة كريمة

لقد طالبت غير مرة بانشاء وزارة للبحث العلمى ، تختص به دون سواه، ويكون لها من ميزانية الدولة حظ معلوم ، لاينبغى فى رأيى أن يقل عن عشرة ملايين جنيه ، وينبغى أن تتحرر فى شئون الصرف من الروتين المعطل القاتل ، وينبغى أن يحشد لها خيرة أبناء مصر من العلماء ، وأن يزودوا بكل مستحدثات العلم من أجهزة وأدوات ومعامل ومكتبات ، ويتبع هذه الوزارة المعهد القومى للبحوث ومعهد الصحراء والاقسام الفنية بوزارة الزراعة والمعامل الحكومية المنبثة فى المصالح المختلفة ، والتى يكاد يقضى عليها الروتين لانها لاتتفرغ للبحث العلمى أبدا

اننا بذلك نكون قد خطونا الخطوة الأصيلة الثابتة نحو بناء مجدنا العلمى الذى يتبعه حتما التقدم الاقتصادى والحربى ، وستصنع هذه الوزارة القنبلة الذرية ان رأت فى ذلك خيرا ، وستصنع قنابل ايدروجينية وكوبلتية وما اليها ان رأت ضرورة لذلك، وستساير الركب العلمى على كل حال ، ولا تترك أبناء مصر عالة على غيرهم ، يشترون السلاح من دول الغرب ، التى تبيعه يوما ، لتمنعه أياما ، وتحلله عاما لتحرمه أعواما ، وعندئذ سيبنى أبناء مصر مجد مصر ويعيدون أمجاد الفراعنة والعرب الاكرمين

سنة ١٩٥٢ : محطة للطاقة الذرية تنشأ لاول مرة فى التاريخ تولد قوة تتراوح بين خمسين الف كيلووات، ومائة الف كيلووات، وقد تمت جميع الاعمال المتصلة بها اخيرا ويرجى الانتفاع بهذه القوة فى ادارة المصانع



سنة ١٩٥٤ : ظلت البحوث الخاصة بالقنبلة الايدروجينية سرا حتى سنة ١٩٥٣ ، ثم اذيعت تفاصيلها . واخذت الدول تتسابق فى انتاج هذه القنابل التى تثير الفزع فى نفوس أكثر العلماء تفاؤلا

ان ما يعجبنا فى الشرق فى هذه الآونة ، هو ذلك الوعى المنتشر بين شعوب ولدت من جديد ، سعت الى الحرية فبلغتها ، واحتلت مكانة كريمة بين دول العالم الحديث



لماذا أحب الشرق ؟

بقلم الدكتور رايموند ماكلين

مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة

معظم الأشياء التى تسر النفوس ويطرب لهـا الأهلون فى الشرق الأوسط ، تبعث السرور فى نفوسنا

الجو فيه يبلغ أقصى مايمكن أن يبلغ من الجمال والابداع ، فالسماء صافية ، والشمس مشرقة فى كل أيام السنة . وهذا وحده نعمة ليس بعدها نعمة لمعتادى الاجواء المتقلبة ، الذين لايكادون يرون أشعة الشمس لكثرة السحب والغيوم !

والالوان الهادئة « القديمة » .. التى أضفى عليها الزمن بهاء وروعة ، ترى فى كل مكان .. انهـا ألوان المادة الطبيعية ، تعرض بأمانة وبغير تزويق ، سواء أكانت ألوان الخشب أم ألوان الحجر أو التربة

وكل شيء فى حركة دائبة ، وخاصة فى الريف . لقد حسبنا نحن الغربيين أن الشرق ـ ومن بينه بلاد الشرق الأوسط ـ يغلب عليه الميل الى الدعة بل الى الكسل ، ولكنا كنا فى ذلك واهمين مخطئين . فالفلاح وزوجـه وأبناؤه وبناته وماشـيته لا يكفون عن الحركة . وهـذه الحركة حكيمة منظمة تنطوى على الصبر والعزيمـة والجلد

ان هذه الأشياء قد تبدو سطحية ثانوية ، غير أنها تسترعى اهتمامنا ، وتجعلنا نشعر بالغبطة لأننا حضرنا الى هنا

وثمة أشياء أخرى ـ أعمق قليلا مما سبق ـ تزيد اهتمامنا وتضاعف سرورنا . ان الحياة هنا ـ مثلا ـ مزيج عجيب من القديم والحديث ، فالواحد منا يحس أن صفحات الماضى لا تطوى فى مصر ، وان اليوم فيهـا يتداخل فى الامس ، وتكاد أصوات الامس البعيد تسمع ، ومناظر الماضى

السحيق ترى واضحة مجسمة

ولعل الحياة فى الريف تدلل على ذلك بوضــوح أكثر ٠ ان البيــوت والملابس والادوات ووسائل المعيشة، وطرق الزراعــة ومواســم الغرس والحصاد ، تعكس جميعا جوانب من الحياة فى العهود القديمة ٠ وهــذه كلها مرتبطة بالنيل ، والنيل يربط بين المناطق الجبلية فى أعاليه وبين البحر ، ومع ذلك تنتشر الحاصلات الزراعية فوق سطح الارض ،وانتاج الارض بدوره يملأ الوادى

□

ان الطلبة المصريين يغادرون النيل راحلين الى الجامعات فى أبعد البلدان، ثم يعودون ومعهم قطعــة من العالم الاجنبى ٠ وطلبــة الخارج يفدون الى هنا ، ثم يعودون الى أوطانهم ومعهم قطعة من مصر

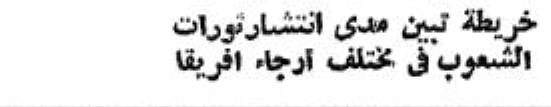
ان الصناعة والتجارة والعمارة ، والكثير من مظاهر الحياة ، تعكس الآن أضــواء من العــالم الخارجى ، وتمزج بين الجانب المصرى والجانب القديم فى هذا البلد المبارك العظيم٠ ومثل هذا المزج يضيف الى الحياة هنا عمقا يستهوينا ويأسر نفوسنا

ان القديم لا ينبذ لأنه قديم ، ولا هو يقدس للسبب عينه ٠ والقدرة على المزج بين القديم والجديد والاحتفاظ بخصائص كل منهما وجماله ، هى السر فى أننا نحب الحياة هنا

وأكثر من ذلك أهمية ، وأدعى الى حبنا لهــذه البلاد فى هــذه الآونة بالذات، ذلك الوعى المنتشر بين شعب ولد من جديد ٠٠ ســعى الى الحرية فبلغهــا ، واحتل ــ بفضــل قادته الابطال رجال الحكومة الحاضرة ــ مكانة كريمة بين دول العالم الحديث٠ لقد خلق حريات جديدة وانسمج فى مسئوليات جــديدة ٠ ومن بواعث السرور أن يكون المرء فى بلد يخلق لنفسه كيانا جديدا وشعورا بالقوة والكرامة ، فى وقت تعــددت فيــه الفرص ، كما تعددت الواجبات

□

ومما يبعث على الغبطة والارتياح خاصة ، أن يساهم المرء بنصيب ــ مهما يكن هذا النصيب ضئيلا ــ فى البرنامــج التعليمى لمصر والشرق الاوسط ٠ فهــذا البلد ــ كأى بلد آخر ــ سوف يعتمد أولا وأخيرا على أبنائه وأهليــه ٠ فهم عمــاده الاول ورأسماله ٠ وأملهم يتركز أخيرا فى أنفسهم ٠ فلا بد أن يثقفوا ويتعلموا بالقدر الذى يمكنهم من التمشى مع نواحى الحياة الفسيحة التى أمامهم٠ ولا شــك فى أن المشاركة فى خلق زعامة قوية قادرة أمر حيوى شديد الاهمية ٠ ولعل هــذا أكثر من أى شىء آخر هو مبعث حبنــا للشرق الاوسط



خريطة تبين مدى انتشار ثورات الشعوب فى مختلف ارجاء افريقيا



عاشق العصافير

صبي من الشرق

بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمة

هزت الجريمة القرية من أولها الى آخرها، ومن أكبرها حتى أصغرها .. فالقتيل شاب من خيرة شبانها ووحيد أمه وأبيه . والقاتل ولد فى الثالثة عشرة من عمره ، والرابع بين ثلاثة اخوة وأخت . ووالداه من أعيان القرية نسبا وغنى ونفوذا وطيب أحدوثة

الا أن الذين عرفوا القاتل عن كثب راحوا يتحدثون عن فعلته النكراء كما لو أنها لم تدهشهم البتة .. فكأنهم كانوا يتوقعونها

ـ أتذكر يا أبا عساف ماقلته لك منذ عام تقريبا ؟ ألم أقل ان هذا الشقي سينتهي بارتكاب جريمة فظيعة ؟ وهاهو قد ارتكبها !

هكذا كان أبو عزيز يخاطب جاره . فيجيبه جاره :

ـ وأنا .. أما قلت لك يا أباعزيز انه سيكون السبب في خراب والديه؟ خسارة . انهم أناس طيبون !

وتقول أم فارس لأم شديد :

ـ هذا الولد كان نحسا منذ ولادته . الا تذكرين أن خير بقرة من بقراتهما فطست فى الساعة التى أطل فيها من بطن أمه ؟

فتزكى أم شديد شهادة جارتها بقولها :

ـ بلى .. بلى .. وأنا كذلك تنبأت من زمان أن هذا الولد سيجلب كل أصناف البلايا لوالديه وللقرية .. ان الارض تئن من شيطناته

وتنتهي الجارتان بالتفجع على القتيل وشبابه ووالديه ، وبالتقسى على القاتل ولوم أبيه وأمه لأنهما لم يحسنا تأديبه

والواقع أن صبحي ولد ولا كالأولاد .. فهو يكاد يكون فلتة من فلتات الطبيعة . اذا وقعت عينك عليه أيقنت فى الحال أنك امام فرخ مصارع أو ملاكم ، وامام أحجية يصعب عليك حلها . فآنا يبدو لك الصبي كما لو كان ملاكا فى زى انسان .. وآونة كما لو كان عفريتا من عفاريت سيدنا سليمان : رقبة قصيرة وغليظة .. منكبان عريضان .. ساعدان مفتولان

.. صدر مقعنسس .. فخذان اذا جسستهما حسبتهما من المطاط الصلب .. كفان سمينتان وأصابع قصيرة اختفت عقدها تحت طبقة كثيفة من اللحم والعضل . اذا وقف وفرشح صعب على اثنين من أترابه أن يزحزحاه من مكانه . وقد حاول الكثير ممن يفوقونه سنا أن يرموه الى الارض فباءوا بالفشل

لعل أغرب ما فى صبحى شكل رأسه .. فهو أشبه ما يكون بالكوز المقلوب ، وقد غطته لبدة من الشعر الفاحم الواقف كالمسلات . فكأنه ريش القنفذ ، تأبى الشعرة منه أن تلتصق بجارتها ، أو أن تتعانق واياها ، أو أن تنحنى يمينا او يسارا . واغرب من شكل رأسه وشعره بشرة وجهه البالغة فى السمرة وقد تخللتها بقع رمادية اللون نبت فيها ما يشبه الزغب أو الوبر . أضف الى ذلك أذنين بالغت محارتاهما فى الصغر والتصقتا بالعظم فلا تمر قشة بينهما وبينه . أما العينان فمستديرتان ، صغيرتان ، وبلون الليل . وأنت اذ تنظر اليهما لاتدرى أهما تبسمان لك ، أم تسخران بك ، أم تتطلعان الى أبعد منك ، أم تفكران فى مكيدة توقعانك فيها .. الا اذا اتفق لصبحى أن يضحك ضحكته العالية ، المدوية . فالعينان اذ ذاك تتقلصان ويعلوهما شىء من البريق ، ثم لا تلبثان أن تغتسلا بالدمع الذى يثيره الضحك الموصول وقد اشتركت فيه جميع الجوارح اشتراكا عفويا لايقيده زاجر أو رادع

لقد أعجز صبحى والديه ومعلميه .. فهو فى البيت لا ينفك يخاصم اخوته واخته ، ولا يذعن لأمر من أوامر أمه وابيه . الا اذا كلف عملا من الاعمال التى تلاقى هوى فى نفسه فهو اذ ذاك ينكب على ذلك العمل انكباب المتعبد على الصوم والصلاة . ولا ينفض منه يده حتى يأتى غاية فى الاتقان . وهو فى المدرسة مبعث قلق دائم لمعلميه ، لا يتورع عن لطم هذا من رفاقه ورفس ذاك . وهو يخلق الأسباب حيث لا أسباب . ولا يردعه عن طيشه وأذاه اى قصاص مهما يكن صارما . فكم من مرة انهال عليه معلمه ، أو أمه وابوه ، بالضرب فما كانت تدمع له عين ، أو تند عنه صرخة « آخ » . بل كان يتحدى ضاربيه بأن يكتف يديه خلف ظهره ، ويعرض لهم جسمه ، ويصيح بهم عاليا : « بعد ! بعد ! اضرب بعد ! »

□

كان من الصعب ان تحكم على ذكاء صبحى . فقد كان فى بعض دروسه كالفأر فى قفص من زجاج ، لايستطيع أن يقضم منه شيئا . وكان فى بعضها كالمنشار فى الخشب . وكان أكره ما يكرهه الصرف والنحو والحساب . أما البرية بما فيها من نبات وطير وحيوان فكانت أحب شىء الى قلبه وفكره . فقد كان يحسب البيت والمدرسة سجنا والبرية جنة . وفى بعض الأحيان كان يدهش والديه ورفاقه ومعلميه بصنع أشياء طريفة تنم عن خيال خصب وذوق رفيع . من ذلك فراشات صنعها من الورق

العادي ولونها بألوان تضارع الوانها الطبيعيــة . وعصفـور حفره من الخشب، اذا أبصرته حسبته من صنع الطبيعة ، الا انه لا يزقزق ولا يطير

وكان من الصعب كذلك أن تحكم على أخـلاق صـبحي .. فهو يمقت الكذب ، ولكنك لاتعرف متى يكون جادا في قوله ، ومتى يكون مازحا. وتراه أحيانا أعند من بغل حرون . واحيانا أطوع من الحمـل الصغير كذلك تشهــــده في بعض مواقفـه فتجزم انه بغـير قلب ، أو ان قلبه من صـوان .. فهو يقسـو منتهى القساوة . وتشهده في مواقف أخرى فتقسم انه الغاية في العطف والرقة

من أخبار صبحي انه التقى مرة بولد على حافة بركة وفي يده مرسة يشدها الى فوق ثم يدفعها ذات اليمين وذات اليسار ، وقد غاب طرفهـــا الآخر في الماء . واذ سأل الولد عما هو فيه قال انه جاء بهرة ليغرقها في البركة . فما كان من صبحي الا أن اختطف المرسة من يده ، وجذب الهرة بسرعة ورشاقة . واذ وجد أن بها رمقا من حياة حل العقدة من عنقها ووضعها على مهل في الشمس . ثم أخذ المرسة وعقدها حول عنق الولد وقذف به في الماء ، وهو يصيح :

ـ أتريد أن تتذوق طعم الغرق ؟ هكذا يكون الغرق يا نذل . طيب هو الغرق ـ ايه ؟!

وكان من حظ الغريق أن مر رجل من هناك في تلك الساعة فأنقذه

ومرة أخرى صادف صبحي أحد رفاقه في الطريق . وكان يحمل في يديه عشا فيه خمسة فراخ لما تكتس بعد أجنحتهـا بالريش . فأكرهه صـبحي على الذهاب معـه الى حيث الشجرة التي كان فيها العش . ثم أكرهه على تسلق تلك الشجرة ورد العش والفراخ التي فيـه الى حيث كانت بالتمام . وعندما نزل الولد من الشجرة انتزع صبحي غصنا من أغصانها وانقض به عليه . وما فتىء يجلده حتى كاد ينزع روحه من بين جنبيه . حينئذ أطلقه قائلا : «اذهب الى أمك وقل لها : هكذا يكون نصيب الأوغاد الذين يزعجون الفراخ في أعشاشها ويفجعون والدة في أولادها»

▭

واتفق أن أصيب صبحي بالحمى .. وطال مرضه وتعقد حتى كاد الطبيب والوالدان أن يقنطوا من شـفائه . ولكنه تغلب في النهاية على الحمى ، وأخذ يسترد عافيته بالتدريج يوما بعد يوم . وعندما أذن له الطبيب بتناول قليل من اللحم ، عن لوالدته أن يصطاد له بعض العصافير . وشوت الوالدة العصافير وجاءته بها على طبق صيني وهي تحسب أنه سيهش لها ـ أي للعصافير ـ وسيلتهمها بعينيه قبـل أن يتناولها بيـديه ويسحقها بأسنانه . الا أنه ما وقع بصره عليها حتى قفز من سريره كالمجنــون ، ورفس الطبق بما فيه .. فطار بعيدا وهوى الى الأرض حيث تبعثر شظايا وتبعثرت العصـافير التي فيه . ثم راح يشتم أمه ويعربد، وأمه مسمرة مكانها كالمصعوقة ، لاتدرى ماذا تقول أو تفعل ، ولا كيف تفسر ما تسمع وترى :

ـ عصافير؟!٠٠ومن الذى طاوعته يده على قتلها ؟ ليتها تنكسر ٠ واليد التي نتفتها وشوتها ٠٠ليتها تنكسر كذلك ٠ تريدونني أن آكل لحم العصافير لأسترد ما أكلته الحمى من لحمي ؟ تريدونني أن أشوى الحمى بالنار التي شويتم عليها هذه المخلوقات الجميلة ، البريئة ؟ يا لكم من مجرمين !٠

وانبطح الولد على سريره ، وعض وسادته،وتفجرت الدموع من عينيه، فانقطع صوته وراح ينتفض بكل جسمه كمن ركبته البرداء ، حتى ان السرير من تحته كان يرقص لارتقاصه

ذعرت الوالدة للمشهد الغريب الذى فوجئت به ، وانعقل لسانها لشدة ذعرها ، وخشيت أن تعاود الحمى ولدها ، فانكبت عليه تقبله وتمسح دموعه ، وتحاول أن تهدىء من روعه ، وأن تعتذر له عما بدر منها ومن والده ، قائلة ان شيئا من ذلك لن يتكرر فى المستقبل٠٠وانها ستصلى الى الله ليغفر لها ولزوجها اساءتهما الى العصافير المسكينة ٠ فقال الولد وهو ينشج :

ـ لو كنتما والذين على شاكلتكما تعرفون الله أو تخشونه لما قتلتم العصافير التي خلقها بهجة لكم ٠٠٠ تأكلون لحم العصفور وهو لايسد جوع فأرة كلوا أغانيه ٠٠ كلوا ألوانه ٠٠ كلوا خفق جناحيه ٠كلوا وداعته وطهارته ٠٠٠

واختنق بدمعه فما بقى يستطيع أن يفوه بكلمة ٠٠

لقد وقع ما كانت تخشاه الوالدة ٠٠ فأصيب صبحي بنكسة قوية من بعد ما كان من أمره مع العصافير المشوية ، الا انه تغلب على النكسة كذلك ٠ وعندما أخذ يسترد قواه طلب الى والدته أن تنقل سريره الى جانب الشباك ليتسنى له تسريح بصره فى الطبيعة السائرة فى موكب الخريف ٠٠ فكان له ما أراد ٠ وكان شباكه فى الدور الثاني والاخير من البيت ٠ وأمامه شجرة من الكرز أخذ الخريف يلون أوراقها بالوان النبيذ والعقيق ، ومن حين الى حين يختطف بعضها فيرسله مع الريح فى كل جانب

▭

كان النهار صافيا ،دافئا ،وهواؤه فى منتهى النعومة عندما كان صبحي جالسا فى سريره فأبصر عصفورا على غصن من أغصان الشجرة التى بقرب شباكه ٠ وكان العصفور من النوع الذى يدعونه « بو الحن » اختصارا لاسمه الكامل «أبو الحناء» وللحال انفرجت أسارير الولد ، والتمعت عيناه ، وارتكض قلبه فى صدره ، وراح يحدق الى العصفور مأخوذا بكل حركة من حركاته ٠ فكأنه فى حضرة ساحر ، أوفي حضرة روح هبط من الأعالي القدسية٠وكان العصفور يقفز من غصن الى غصن ، أو الى الارض فينقر نقرتين أو ثلاثا ثم يعود الى الشجرة حيث يأخذ يهز ذنبه الرمادى ، أو ينكث صدره القرميدى بمنقاره الدقيق ، أويصفر صفرات خافتة ، متقطعة تنسجم

منتهى الانسجام مع جو ذلك النهار البديع

وسكر الولد بحركات العصفور وصفراته ، وماع قلبه ، وتخدر دماغه، وبات يتمنى لو يقفز العصفور الى شباكه ثم يسمح له أن يأخذه هنيهة في يديه ويقبل منقاره وعينيه . مثلما بات يخشى أن يطير من الشجرة ولا يعود . وعن له أن يكلمه بلغته . فصفر صفرة خافتة ، حزينة . واذا بالعصفور يستدير نحوه فيتأمله لحظة ويطير . فانقبض قلبه ، وغامت عيناه مخافة أن يكون قدنفره لغير ما رجعة . ولكنه ما لبث أن عاد .. فتشجع الولد وصفر له مرة أخرى . فما اضطرب العصفور ولا طار . بل اقترب من الشباك وراح يهز ذنبه وينكث صدره باطمئنان ويحدج الولد من طرف عينه

عندها ذهب صبحي الى أبعد من ذلك فجاء بقليل من الحب ورشه في أسفل الشباك وراح يخاطب العصفور آنا بالصفير وآونة بالكلام . فيقول له :

ـ تعال .. تعال .. صبحي يحبك .. يحبك كثيرا يا «بو الحن» . صبحي يريد أن يطعمك . صبحي يريد أن يقبلك . لا خوف عليك البتة من صبحي . تعال . تعال وكل

ولكن « بو الحن » بقي حذرا طيلة ذلك النهار . فكان يغيب ويرجع دون أن يقترب من الشباك الا بمقدار . وتوالت الأيام على ذلك المنوال الى أن كان يوم قفز فيه العصفور الى الشباك وأخذ ينقر الحب الذي عليه . وبعد أيام بلغ به الاطمئنان حداً لم يخف معه من أن يتناول الحب من يد الولد الذي أحس عندئذ كما لو أن الدنيا بأسرها أصبحت ملك يمينه . فقد كانت غبطته بصداقة بو الحن فوق ما يستطيع أي قلم أو لسان ان يعبر عنه . وانتهى الأمر بالصديقين أن بات في مستطاع صبحي أن يأخذ العصفور في يده ويشبعه تدليلا ولثما . وذلك في نظره ، كان السعادة التي ما بعدها سعادة

ذات يوم ، وقد خشي صبحي أن يكون قد ضايق رفيقه بطول مداعبته له ، دفع به عاليا في الهواء فرفرف هنيهة وهبط على أعلى غصن في الشجرة . وبغتة سمع الولد طلقا ناريا . واذا بالعصفور يهوى الى الارض بلا حراك . واذا برجل يركض لاهثا وينحني ليلتقط العصفور القتيل في تلك اللحظة ، وبأسرع من رفة الجفن ، قفز صبحي من الشباك الى ظهر الرجل فبطحه أرضا . وتناول حجرا كان بالقرب منه وراح يدق به رأسه وهو يصيح بأعلى صوته :

ـ خذها ! خذها ! لاعشت تأكل العصافير !

وظل يدق رأسه حتى أخمد انفاسه

وكان أن صبحي، في قفزته تلك، قد كسر ساقه .. فحملوه الى سريره حملا .. وعاودته الحمى . فهو اليوم بين الموت والحياة .. والمحكمة تنتظر ابلاله من مرضه لتصدر حكمها في جريمته . وهو يهذى في سريره فلا ينفك يردد :

ـ خذها ! .. لا عشت تأكل العصافير !

ماذا تعلم الغرب منا..

وماذا تعلمنا من الغرب ؟

بقلم الأستاذ محمد خلف الله

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية

ان طريق التأثير الحضارى بين الشرق والغرب طريق طويل ، يبدأ من الماضى البعيد ، ثم يمتد عبر العصور مغربا حينا ومشرقا حينا آخر . ومن الصعب أن تقيم عليه حدودا تفصل بين مرحلة واخرى ، أو تفرق بين مؤثر ومتأثر ، فقافلة الانسانية كانت — وستظل — دائمة التسيار، قائمة على التواصل وتبادل المنافع. وقد اقتضت سنة الله فى بنى البشر أن تزدهر حضاراتهم فى موجات زمانيــة متنقلة ، ترتفع هنــا لتنخفض هناك ، وتحمل معهـا فى سيرها — غادية ورائحــة — كل ما تصب فيها الروافد من آثار الفكر والتجارب ، وضروب السلوك والاجتماع

الشرق اقدم تحضرا

ولكن الشيء الذى تشهد به عصور التاريخ المعروفة ان الشرق اقدم تحضرا من الغرب ، فقد اخترعت عبقريات الشرقيين — فى مصر وآشور والهند وغيرها — مقومات الترقى فى الحياة الانسانية ، كالكتابة والحساب ووسائل الزراعة والنقل، وحاولت ان تنفذ بتفكيرها الى قضايا الوجود والغاز الحياة والموت، وقامت فى العالم الشرقى القديم حضارات وفلسفات ، شغل الغرب الحديث — ولا يزال — بالكشف عن آثارها الخالدة على مر الزمان

ثم غرب مركز الاشعاع فى القرون الخمسة أو الستة السابقة لميلاد « المسيح » الى « اثينا » معلمة اوربا ، وواضعة الاسس الكبرى فى فلسفتها ودراساتها ، وآدابهـا وفنونها ، فابتدأت بذلك موجـة عالية من موجات التطور الانسانى، حمل لواءها الغرب وعرف الشرق بعد كيف يفيـد منها ، ويضيف اليها

ومنذ الفى سنة من الزمان أضاف الشرق الى سلسلة دياناته حلقـة سماوية جديدة ، ما لبثت ان عبرت الى الغرب واستقرت فيه ، وطبعت اممه بطابعها الى اليـوم ، وورثت

– فيما ورثت – حضارات اليونان والرومان ، ولونت تلك الحضارات بألوان تعاليمها ومبادئها

الشرق مصدر النور

ولم تمض على ذلك بضعة قرون حتى أضاف الشرق رسالته الالهية الاخيرة ، فانتشرت فى آفاق العالم الشرقى انتشار النور فى الظلام ، وجمعت تحت لوائها مختلف امه وحضاراته ، ونسجت من كل أولئك نظاما انسانيا عاما يقوم على مبادىء التوحيد والاخاء ، والارتفاع بكرامة البشرية عن فوارق اللون والجنس والعقيدة والثروة . ثم أرسلت طلائعها الى أقصى حدود الغرب المعروفة اذ ذاك ، فاتخذت من شبه جزيرة « الاندلس » وطنا غربيا لها بضعة قرون ، وأنشأت فى « صقلية » مركزا لتشع منه على قلب القارة الاوربية ، ونشرت ما شاءت لها عبقريات اهلها أن تنشر من أضواء الفكر والعلم ، وفتحت أبواب معاهدها ومكتباتها لطلاب المعرفة من أرجاء أوربا ، وأحيت للغرب تراث الاغريق الفلسفى بعد أن تركت عليه طابعا من جهود مفكريها وعلمائها . وبذلك أضاف الغرب الى قائمة معلميه اسماء « ابن سينا » ، و « ابن رشد » ، و « الرازى » و «جابر» و«الغزالى» و « ابن عربى » و « ابن الهيثم » و « ابن خلدون » وغيرهم . ولم يأخذ الغرب عن الشرق دروس الفلسفة والطب والكيمياء والفلك والرياضة فحسب ، ولكنه تأثر بما نقل اليه من ادب الشرق فى قصصه وأشعاره ، ولياليه واسماره ، وأساطيره وخياله ، وفروسيته ومغامراته ، فسرت فى آدابه روح جديدة كان لها صداها فى عصر النهضة الاوربية . وقد تكفل بانصاف الشرق فى هذه النواحى طائفة من الباحثين المحدثين فى أوربا وأمريكا ، ممن درسوا تراث الفكر الشرقى فى مختلف مظاهره ، وسجلوا ما كان له من فضل وتأثير على الفكر الغربى

فترة خمود وجمود

وتدور عجلة الزمان دورتها ، فتخمد جذوة الشرق قرونا ، يطرد فيها تقدم الغرب ، وتزدهر علومه ومعارفه ، وتقوم فيه مدنية جديدة قوامها اخضاع ظواهر الكون والحياة للتجربة والبحث المنظم ، ويقوى سلطانه المادى ، ويستهويه ما فى الشرق من خيرات نام عنها أهلها ، فيبسط على أمم الشرق نفوذه ، ويتحكم فى مصائرها وحرياتها . وتستمر الحال على هذا الى ان يصحو الشرق من نومه فى القرن التاسع عشر ، ويدرك تأخره عن ركب الحياة ، فيولى وجهه شطر الغرب يتلقى على يديه مناهج البحث العلمى ، واساليب الاصلاح الاجتماعى والسياسى ، ثم يحاول أن يستعيد مكانته من جديد

الاستاذ محمد خلف الله



ابن خلدون



ابو حامد الغزالى

فلا يلبث ان يصطدم بقبضة الغرب تحد من حركته وتعوقه عن السير، فيستجمع لها قوته ويكافح في تحرير نفسه ، مستمدا الالهام من ماضيه الزاهر ومجده الغابر ، مصمما أن يحيى سيرته كما كانت في عصورها الذهبية ، وان يقوم بنصيبه في ترقي الانسانية الحديثة وتقدمها ، كما قام بدوره في تطور العالم القديم

ماذا افدنا من الغرب ؟

هذا هو الحساب التاريخي المجمل لتبادل التأثير بين الشرق والغرب . وهو حساب فصلته البحوث والكتب ، وافاض فيه العلماء والمؤرخون ، فاذا نحن ركزنا نظرتنا في المرحلة المعاصرة ، وجدنا أننا — من غير شك — وقفنا من الغرب موقف المتعلم من معلمه .. فبعثنا طلابنا الى معاهده ، واستقدمنا علماءه وخبراءه الى بلادنا ، وترجمنا علومه وآدابه الى لغاتنا ، ونقلنا عنه شتى الاساليب في الثقافة وفي التنظيم العمراني ، واستعرنا أحدث أوضاعه وطرائقه في الحكم ، واصطنعنا كثيرا من عاداته ونظمه في المعيشة والاجتماع ، وافدنا من الاقتداء به في تنظيم حياتنا ، وتجديد فنوننا ، فاستكملنا ما كان ينقص تراثنا العربي من أدب القصص والمسرح ، وحررنا لغتنا من قيود الصناعة والزخرف ، وخرجنا بشعرنا من دائرة الاشخاص الى جمال الطبيعة واسرار الكون ، واتجهنا بموسيقانا وسائر فنوننا نحو الآفاق العليا من تجارب الانسانية ومعاني الحياة ، واصبحت





لنا معاهد وجامعات ، ومصانع ومعامل ، ومؤسسات اقتصادية ، وانظمة من الادارة والتشريع ، على غرار ما تعلمنا من الغرب فى مدنيته الحديثة

وكان لاتصالنا بالغرب آثار فى بعض نواحينا الاجتماعية والاخلاقية. فقد حاولنا أن نقلد بعض اممه فى الحرص على النظام وتقويم الزمن ، والاحتفاظ بالتقاليد الصالحة ، والصبر على الغمرات حتى ينجلين، وعدم الاستسلام لروح اليأس والهزيمة ، وتحاشى الاندفاع وراء الاهواء والانفعالات دون ترو أو تفكير ، وقد غيرنا ما أورثتنا عصور التأخر من موقف الجمود نحو المرأة، فاتحنا لها الآن فرص الثقافة والعمل والاشتراك فى خدمة المجتمع

ليس الغرب خيرا كله

هذه دروس تعلمناها من الغرب الحديث ، أو قل : تعلمنا منه كيف نستعيد الكثير منها فى تراثنا الذى اهملناه . ولكننا قد وصلنا فى تطورنا الى مرحلة ادركنا فيها أن دروس الغرب ليست خيرا كلها ، وان فى حياته نواحى غير صالحة ، يشكو الغربيون انفسهم سوء نتائجها ، ويودون لو عادوا فيها الى سبيل القصد . وكثير منها يتصل بالعلاقة بين الرجل والمرأة ، ويغنون اللهو والمتعة والفراغ . وقد بهرت ابصارنا ببريقها ، فأسرفنا على أنفسنا فى تقليدها ، ثم أفقنا فنظرنا فاذا هى منافية للصالح من آدابنا وتقاليدنا ومقومات كياننا الخلقى والاجتماعى . وعلمتنا تجاربنا أن

مدنيـة الغرب تنقصها عنـاصر جوهرية ، احتفظت بها مدنيـات الشرق ، وبنت عليها فلسفة صالحة فى الحياة ، وأن من واجبنـا نحو الانسانية أن نبشر بهذه العناصر ، وأن نعلمها امم الغـرب . وقد بدأ الغرب نفسه يتنبه لهذه الظاهرة ، ويستعين بعلماء الشرق على دراستها ويسأل : ما الذى يستطيع أن يتعلمه من ثقافتنا وتعاليم اديانتا ؟ وأخـذ بعض باحثيـه يدرسـون موقف الاسلام ـ وهو من اكبر العـوامل الموجهة فى حيـاة الشرق ـ من المعضلات الكبرى التى يواجههـا المجتمع الحديث ، وتحشـد الوفود لبحثها فى المنظمات الدولية

الاسلام استاذ الحرية والعدالة والمساواة

وهنا يبرز الدرس الذى يجدر بالغرب أن يتعلمه اليوم من الشرق الاسلامى ، ذلك هو الفهم الاصيل لحقوق الانسان من حرية وعـدالة ومساواة واخاء . . فان تاريخ محاولات الغرب الجدية فى تقرير هذه الحقوق تاريخ حديث ، لا يمتد الى ابعد من القرن الثامن عشر ، على حين قرر الاسلام هذه الحقوق واضحة صريحة منذ القرن السابع الميلادى ، وجعلها جزءا من عقيدته ، وركنا من أركان رسالته ، وطبق مبادئه فيها تطبيقا عمليا فى سياسة الافراد والجماعات فى مختلف الامم التى شـاركت فى حضارته

وليس من شك فى ان الغـرب الحديث جاد فيما يدعو اليه من تقرير هذه الحقوق ، وفيما يعقـد من المؤتمرات ويصـدر من الوثائق . ولكن دعوته تنقصها روح العقيـدة والايمان التى تؤلف جزءا من كياننا الفكرى فى الشرق ، وتتعرض هذه الدعوة فى الغـرب كل يوم للنقض والانتكاس من أثر الاطماع والمصالح السياسية . ولن ينقذ الانسانيـة الحديثة الا مطابقة الافعال للاقوال وحين يثقف الغرب هذا الدرس، ويحسن فهمه والعمل به ، تستقيم الصلات بين الشرق والغـرب ، فيجرى التأثير النافع من الجانبين ، ويفيد الغرب من معارف الشرق الحديث الناهض وفلسفاته ، وفنونه وآدابه ، وأخلاقه وتعاليمه، كما أفاد الشرق فى المائة والخمسين سـنة الاخيرة من ثقافة الغرب الحـديث وطريقته العلمية وثمار عبقريته فى الفكر والاختراع

****

اسرائيل

قال أبو تمام فى الخمر ، وهـذا البيت ينطبق أيضـا على دويلة اسرائيل :

وضعيفة اذا أصابت فرصـة
قتلت ، كذلك قدرة الضـعفاء

الزواج بالاجنبيات زواج يعوزه الانسجام قومي يورثنا عنه جيل شقي حائر تتوزعه عواطف متضاربة ...



شبابنا .. والزواج بالغربيات

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

المدرسة بجامعة عين شمس

« ... ومهما يكن من تعصبي لمصريتي ، فالحق أن مصر لم تكن لتجرؤ على الزام شبابها الذين عاشوا فى الغرب ، بالزواج من بناتها أيام كن أسيرات الجهل مغلولات بالحجاب ، لكنها الآن لا تستطيع أن تلتمس لهم العذر ، وهذه الفتاة المصرية قد مزقت الأغلال وحطمت القيود واستكملت حظها من الثقافة والنضج والوعى ، فضلا عن ميراثها العتيد من سحر الشرق وروحانيته ، ومع ما امتازت به من ضمير حى وخلق كريم ، بحيث لا يمكن أن يفسر الزواج بالاجنبيات اليوم ، الا على أنه ضعف من شبابنا أمام فتنة سطحية عابرة تخلب لب الاغرار ، أو انه شعور بالنقص أمام المصرية الجديدة فى وعيها ورشدها »

يشق على مثلى أن تكتب فى موضوع كهذا ، دون أن يستفزها الغضب للمهانة التى تجرح عزة المصرية وتؤذى كرامتها ، كلما تزوج مصرى من أجنبية . ومع هذا أحاول قدر ما تطيق بشريتى ، أن أكبح جماح الغضب وأضبط قلمى ليتناول الموضوع تناولا رزينا غير مستثار ، فيلتمس الاسباب والدواعى التى اغرت وما تزال تغرى نفرا من رجالنا ، بالزواج من غير المصريات ، ثم يعرض النتائج المترتبة على مثل هذا الزواج ، والآثار التى تنجم عنه ، فى الوطن والمجتمع والاسرة .

لم تنج مصر فى عصر من عصور تاريخها الطويل من ظهور الزوجات الاجنبيات فى المجتمع المصرى ، فمنذ فجر التاريخ ، وهى تتعرض لهذا فى نطاق محدود ، أثرا لاختلاطها بالعالم الخارجى . وقد رأى الوادى صورا شتى لزوجات أجنبيات ، فى

بيوت تجار وجنود ، بل فى قصور بعض الفراعين ، لكن الامر لم يكن يعدو ظاهرة طبيعية تحدث لكل أمة تتصل بالدنيا من حولها وتتأثر بها وتؤثر فيها ، وما كان ثمة خطر يخشى من الزواج بالاجنبيات فى مثل ذلك النطاق الطبيعي المحدود ، بل لعـله كان اقرب الى ان يطعم المجتمع المصرى بعناصر جـديدة وتجارب اجنبية ، تزيد فى حيويته وتغذى نماءه

ولم تنفرد مصر بهذه الظاهرة ، فمثلها يحدث للامم الحية فى مختلف مراحل التاريخ ، وقلما نجت منـه أمة الا اذا تعمدت أن تقيم حـول الشعب أسوارا تعزله عن سواه ، فتعرضه بهـذه العزلة للانكماش والانطواء ، وتحرمه الانتفاع بجديد من الدماء ومزيد من التجارب

والمؤرخون ـ فيما اعـلم ـ لم يسجلوا لنا احصاء دقيقا يحـدد عدد الزوجات الاجنبيات فى العصور القديمة ، لكن احتفـاظ المصرى بلونه وسحنته وسمته وطباعه رغم تعاقب الغزاة عليه ، يكفى وحـده شاهدا على أن الزواج بالاجنبيـات قد ظل قرونا وآمادا لا يجاوز حده الطبيعي الذى لا خطر فيه ولا ضرر منه ، بل ان بقاء السـلالة المصرية متميزة بطابعها الذى لا تخطىء فيه الشبه بيننا وبين أجدادنا الفراعين، ليقدم الدليل ـ اصدق الدليل ـ على أن شخصية مصر لم تفن قط فى غاصب ولم يلغها أجنبى دخيل ، فعلى الرغم من تعرض مصر لصنوف من المحن والوان من الغزو ، ظلت هى هى : بملامحهـا المميـزة وشخصيتها الاصيلة

لا اقول هذا جزافا ، وانما تقوله الآثار المادية التى لا تكذب، ويسجله من المؤرخين وعلماء الاجناس ، من ليسوا مظنة التعصب لنا ، وما هم منا ولا نحن منهم

▭

حتى كانت محنة الاسـتعمار التركى الذى صـحبه غزو منظم ـ فى نطاق واسـع ـ لما يعـرف بالمجتمع الراقى ، فامتلأت بيـوت كثير ممن يلوذون بالترك ، فى العاصمة والمدن الكبرى ، بزوجات تركيات . وما كانت مصر لتكترث بهذا ، فقد ظل على اى حال محصورا فى طبقة بعينها هى طبقـة المحسوبين على الحاكم التركى ، والمتزلفين اليـه ، لكن الوضع أخذ صورة مهينة جارحة لشعور المصرية، حين صار الواحد من هؤلاء يباهى بأن فى بيته زوجة تركية ، ويعد هذا شرفا ما بعـده شرف ولو كانت من اماء القصـر ومعتوقات الخديو ، ومن هنا بدات مصر تضيق فعلا بزواج المصريين من الاجنبيات ، لا اشـفاقا من اثر الدم التركى فى السـلالة المصرية ، ولا خوفا من ضياع معالم شخصيتها فما ضاعت قط فى اجنبى دخيل ، وانما غضبا من تلك المهانة الجارحة، التى تجعل الزواج من أمة تركيـة مدعاة فخر ، وما هو فى الواقع الا سمة ضعة ، ووسيلة تملق للحـاكم

والتماس لرضاه

وكظمت مصر غيظها على ما اعتادت ان تفعل من قديم الزمان ، واغمضت عينيها على القذى متناومة حتى ظن بها الجمود والغفلة والرضى بالهوان ، وصبرت على شاعر القصر وهو يشدو للمراة العثمانية :

انت شـعاع من عل
انزله الله هـدى

كم قد أضاء منزلا
وكم أنار مسجدا !

وكم كسا الاسواق من
حسن وزان البلدا !

لولا التقى لقلت لم
يخلق سواك الولدا !

ويقول فى زينب بنى عثمان :

تحدثنى من قومها الترك زينب
وتعجم فى وصف الليوث وتعرب
وتكثر ذكر الباسلين وتنثنى
بعز على عز الجمال وتعجب
وتسحب ذيل الكبرياء وهكذا
يتيه ويختال القوى المغلب
وزينب أن تاهت وان هى فاخرت
فما قومها الا العشير المحبب

ولم ينس وهو يصف « ملكة النحل » أن يرنو الى المراة التركية فى تعظيم اذ يقول عن النحلة :

انثى ، ولكن فى جنا
حيها لباة مخدره

ذائدة عن حوضها
طاردة من كدره

كانها تركية
قد رابطت بانقره !

ثم اذا بمصر تهب فجاة ، فتلفظ هؤلاء الذين تعالوا عليها وظنوا بها الظنون !

وخرست الالسنة التى كانت تردد نشيد المباهاة بالنسب الاجنبى ، وانزوت الوجوه التى ازدهاها حينا ان تبرأ من السحنة المصرية بسمرتها العريقة ..

▭

على أن ظاهرة الزواج بالاجنبيات لم تتوار باستقلال مصر وبراءتها من الاسرة الالبانية التركية التى ظلت تحكمها طوال قرن ونصف من الزمان ، فما تزال الظاهرة موجودة فى المجتمع المصرى ، وما تزال مصر تستقبل بين وقت وآخر ، زوجة بعد زوجة ، من شتى الجنسيات ومختلف الالوان والاشكال ، والاغلب الاعم فى هؤلاء ان يدخلن مصر مع شبابنا العائدين من بعثات الى الخارج ، وهو وضع يحتاج الى ان نقف عنده طويلا ، لنرده الى أسبابه ونرصد نتائجه وآثاره

من الواضح أن هذا النوع من الزواج ، بدأ منذ عهد « محمد على » مع الطلائع الاولى للبعثات التعليمية الى أوربا ، ثم أخذ يزداد ايفاد البعثات من شبابنا حتى جاوز النطاق الذى يمكن ان نعده طبيعيا لا خطر من ورائه ، ومهما يكن من تعصبى لمصريتى ، فالحق يرغمنى على الاعتراف بأن أكثر الذين تزوجوا من أجنبيات قبل جيلنا ، قد كانوا معذورين . اذ أن المراة المصرية ظلت

حتى عهد قريب ، أسيرة الجدران مغلولة بالحجاب ، لا تدرى شيئا عن العالم خارج حدود دنيانا الضيقة الحبيسة ، فكان من الصعب على شاب عاش فى الغرب وعرف نساءه أن يعود فيعاشر زوجة أمية خاملة الذهن مهيضة الجناح ضيقة الأفق مغلقة الحس مكبوتة العاطفة ، ومن ثم كان على مصر أن تجرع هـذا الوضع على مرارته ، فترى الصفوة من شبابها يتورطون فى زواج قام على اعتبارات مرتجلة ، وتحت تأثير اغراء صعب يعز معه التفكير السليم المتزن ، زواج أعوزته عناصر الانسجام الروحى والتآلف المعنوى والمشاركة فى العاطفة القومية وفى الشعور الدينى ذى السلطان القاهر ، فاذا راحت السكرة وجاءت الفكرة ، تعطل سحر الجديد ، ووجد الزوجان نفسيهما غريبين متناكرين ، لا يربطهما سوى رباط مادى واهن

وما بنا أن نرثى لهما فى يقظتهما المروعة من الحلم الخادع ، فعلى كل منهما أن يحتمل نتيجة عمله ومسئولية تصرفه ، لكنما نرثى للأبناء المظلومين الابرياء

ففى هذا الجو المشحون بالتنافر أو الكبت أو الندم ، ينشأ جيل شقى حائر من نسل الزواج المختلط ، تتوزعه عواطف قومية متضاربة ، وتتجاذبه مشاعر دينية متباعدة ، وتتقاسمه تيارات نفسية متضادة ، فتحرمه الطمأنينة الضرورية لسلامة النفس ، وتحول بينه وبين الشعور بمقومات شخصيته فى الجماعة ، والاعتزاز بما يعتـز به زملاؤه من أصل ينتمى اليه ووطن ينتسب له

واشقى ما فى الامر أن المشكلة تزداد تعقدا بوجود هؤلاء الابناء ، فان احتمـال الزوجين عيشهما المشترك فى ظل التناكر والندم ، يشقى صغارهما بقدر ما يشقيهم انفصال الابوين

ويقال هنـا ان بعض الزوجات الاجنبيات يتخلين عن الجنسية والدين ويندمجن فى المجتمع المصرى وهو قول تكذبه الطبيعة وينفيه الواقع الذى يؤكد ان هذا التخلى لا يتجاوز الشكليات والمظاهر الى صميم الوجـدان ، وانى لبشر ان يصم أذنيه عن نداء دم يجرى فى عروقه ، وأن يجرد شخصيته من نوازع الوراثة ، ويقهر فى كيانه عوامل البيئة التى صنعته جنينا وتلقته وليدا ووجهته غلاما ويافعا ! بل انى لانسان أن ينسى وطنـا حلت فيه تمائمه ، ودينا تلقاه عن الآباء والأجداد ؟!

ان الزوجة الأجنبية اذا استطاعت حقا أن تبرأ من عاطفتها الدينية والوطنية ، فما هى الا شاذة ، أو مارقة جاحدة ، أو مرتزقة ، وهيهات لمثل هذه أن تصـلح أما ، وقد تجردت من الايمان بالقيم العليا فى حياة الانسان

قلت ان مصر تجرعت هـذا الوضع المر حينا ، فما كانت لتجرؤ على الزام شبانها بالزواج من الفتاة المصرية فى عثرة الجهل وبلاهة الأمية وأغلال الحجاب ، لكنها اليـوم

لا تستطيع أن تلتمس لهم عــذرا وهذه الفتاة قــد مزقت الاغــلال وحطمت القيود واستكملت حظهــا من النضج والثقافة والوعى ، فضلا عما امتازت به من ضمير حى وخلق قويم ، بحيث لا يمــكن ان يفسر الزواج بالاجنبيات اليوم الا على انه ضعف من شباننا امام فتنة شكلية تخلب لب الاغرار ، أو شعوربالنقص امام المصرية الجديدة فى وعيهــــا ورشدها ودقتها فى وزن الرجال

ونسمع هنا كلاما كثــيرا يردده الشبان عن عيوب المصرية الجديدة . ولست ابرئها من هذه العيوب ، فان ثورتها الظافرة قد حرمتها التواضع والقناعة ، لكنى أرثى للشبان حين يعالجون غرورها بالزواج من اجنبية،

وقد كانوا مرجــــوين لان يدركوا العوامل النفســـية والاجتماعيــة والاقتصادية التى احاطت بنات هذا الجيل، فيحاولوا ــ بشىء من الجهد ــ ان يفرضوا شخصــياتهم عليهن ، ويثبتوا انهم اكفــــاء لهن . فليس الغرور طبيعة فى الفتاة الشرقية ، وانما هو اثر طارىء سرعان ما يزول حين تجد زوجها الكفء ، واذ ذاك تسترد سلامة فطرتها ولطف طبيعتها ولين انوثتها ، وتغدو طرازا فــذا نادرا من الزوجات ، اذ تجمــع فى اهابها بين عقليتها الواعية المستحدثة، وبين حظهـــــا من سحر الشرق وروحانيته ، مع ميراثها الطبيعى من امهـــات لم يعرفن غير التواضع والايثار والصبر والاحتمال

هذه مجموعة من الآثار التى نقلها الاثريون الى امريكا ، وانجلترا وفرنسا والمانيا والدانيمرك وايطاليا ، واحتلت أكبر المتاحف فى عواصمها الكبرى ..

آثارنا الخالدة

تزدان بها عواصم الغرب الكبرى

لا يكاد يخلو متحف من متاحف الغرب من مجموعة من التحف والتماثيل الفرعونية الرائعة ، نقلها اليه لفيف من اعضاء الهيئات الأجنبية المتعددة التى كانت تقوم باعمال الحفر والتنقيب فى المناطق الاثرية ، حين كان اهتمامنا بالآثار يكاد يكون معدوما ، ولم تكن ثمة قوانين رادعة منظمة لهذه الاعمال . هذا الى أن جهل المسئولين حينذاك بقيمة هذه الآثار كثيرا ما حفزهم الى التهاون فيها او اهدائها للسلطات الاجنبية . ولم يتورع بعض الاجانب المقيمين فى مصر عن سرقة الكثير من التحف النفيسة . وقد اعترف بعضهم بهذه السرقات

ولولا الاحداث الكثيرة التى اشاعت بين الغربيين الاعتقاد فى لعنة الفراعنة وانتقام ارواحهم من المغتصبين لتحفهم وآثارهم ، لملأت هذه التحف والآثار قصور الوجهاء والاثرياء منهم

ومن هذه الاحداث ، ما روى عن تابوت خشبى يمثل احد الفراعنة ، محفوظ الآن بالمتحف البريطانى .. فقد اشتراه انجليزى يدعى « دوجلاس مورى » . وبعد بضعة ايام اصيبت ذراعه برصاصة من بندقيته وهو ينظفها . واثناء سفر السفينة التى حملت هذا التابوت ، هبت عاصفة شديدة اغرقتها ، وقد انقذ التابوت باعجوبة . وبعد ان وصل ميناء لندن ، وضع فى عربة

راس تمثال لرمسيس الثانى .. فى متحف تورينو بايطاليا



فتحطمت فى الطريق . وحتى المنزل الذى حفظت فيه ، شبت النيران فى جانب منه بعد قليل . وقام احد المصورين بتصويره ، فمات منتحرا بعد أيام . وتوالت سلسلة المصائب التى حلت بأصحابه ، فلم يجدوا بدا من اهدائه للمتحف البريطانى !

وقد نقلَ عدد غـيـر قليل من المسلات ، لتثبت فى الميادين الكبرى بعواصم البلاد الاوربية والامريكية . وكانت مسلة ميدان « لاكونكورد » بباريس احدى المسلتين المقامتين امام معبد الاقصر . وهى مصنوعة من الجرانيت الوردى ، وقد نقش عليها رمسيس الثانى اسماءه والقابه وسجل عليها انه هو الذى شيد المعبد تكريما

تمثال نادر للملكة المصرية الفاتنة المعروفة نفرتيتى .. متحف برلين

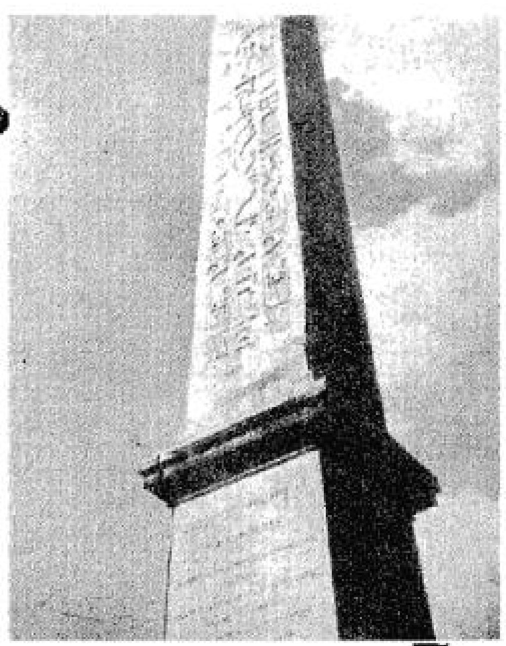
للاله العظيم آمون . وبواشنطون ولندن مسلتان اخريان يصوران عظمة الفن المصرى

لقد بلغ فن النحت والحفر عند قدماء المصريين اعظم مراتب الكمال فى تعبيره عن أحاسيسهم وعقائدهم . لقد كانوا يؤمنون بالابدية والخلود ويقدسون القوة والعظمة والانسجام ، فضمن الفنان المصرى انتاجه هذه المثل والاهداف ببراعة وقوة وامانة . ومن هنا ، لم يكن عجيبا ان يستهوى فنه القلوب وأن ينظر اليه الغربيون نظرة اجلال واعجاب وتقدير

وعلى هذه الصـفحات ننشر مجموعة من التحف التى تزهو بها عواصـم البلاد الاوربية والامريكية



راس تمثال لاميرة فرعونية .. من مجموعات متحف كوبنهاجن بالدانمارك



مسلة مصرية .. نقلت الى فرنسا واقيمت بميدان الكونكورد بباريس



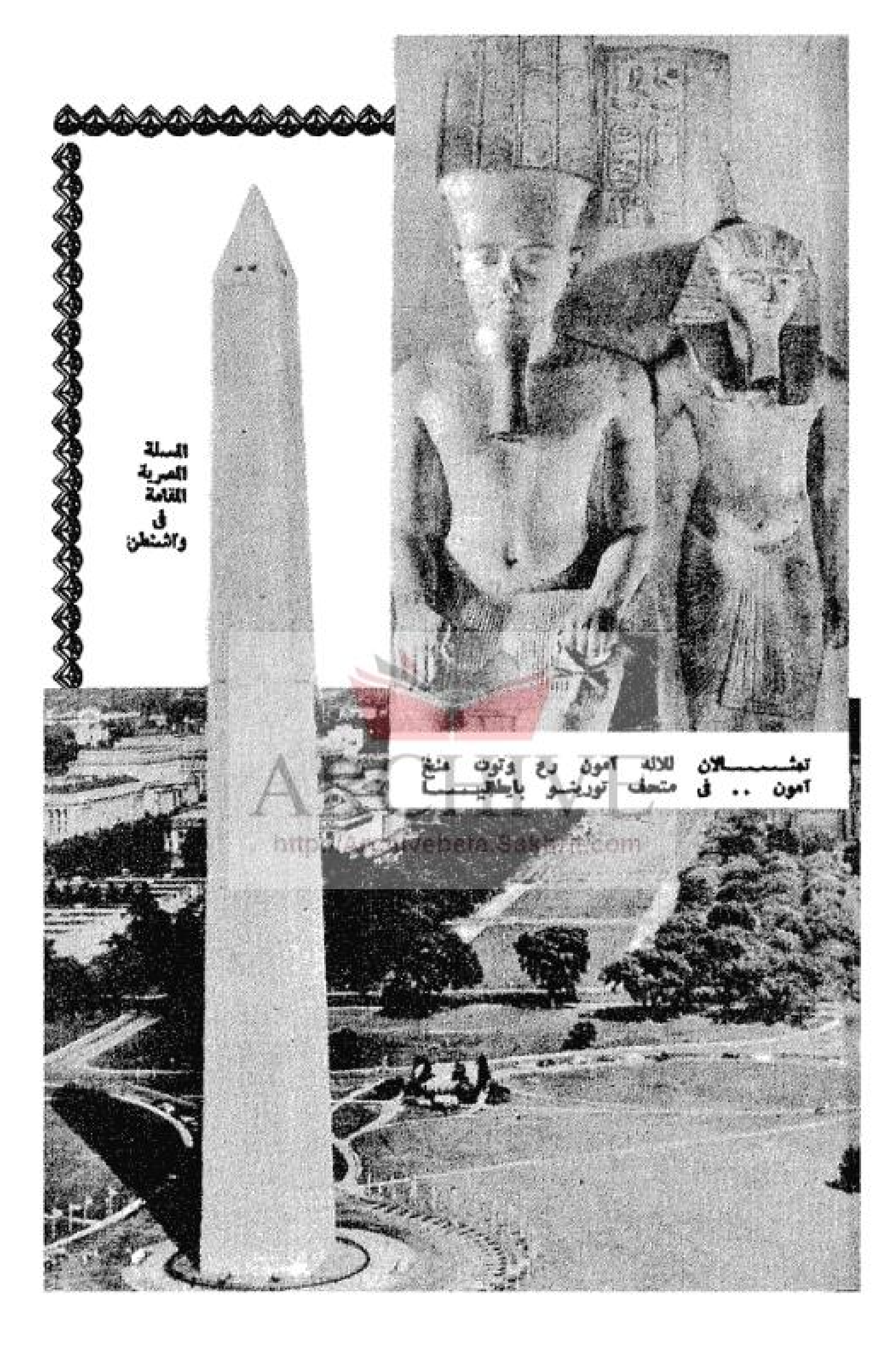
تمثال كامل للامير حميون ، شقيق الملك خوفو باني الهرم الاكبر ... من مجموعات متحف « هلدسهايم » بالمانيا

مسلة كليوباطرة المصرية .. الموجودة الآن في احد ميادين لندن



تمثال للكاتب المصري .. محفوظ في متحف كوبنهاجن بالدانمارك





المسلة المصرية القائمة في واشنطن

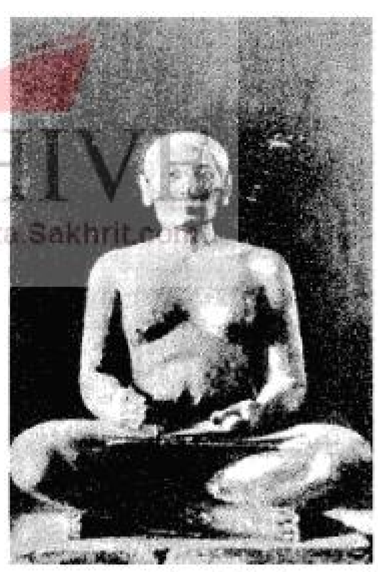
تمثالان للاله آمون رع وتوت عنخ آمون .. في متحف تورينو بايطاليا



تمثال لابي الهول .. من محفوظات متحف اللوفر بباريس



تمثال كامل لرمسيس الثاني .. من مجموعات متحف تورينو بايطاليا



تمثال للكاتب المصري ... من محفوظات متحف اللوفر بباريس





تمثال للإله حوريس .. من مجموعات متحف اللوفر بباريس ..

وعاء أثرى لحفظ الروائح العطرية .. من مجموعات متحف بروكلين بنيويورك

تمثال فرعونى لحاملة القرابين .. من محفوظات متحف اللوفر بباريس

حوار ..

بين الشرق والغرب

بقلم الأستاذ محمد الأسمر

الشرق :

أخي أيها الغربُ ماذا جَرى ؟! وأين الأخوةُ بين الورَى ؟!

فهلاَّ ذكرتَ صباكَ الذى مَضى ، وذكرتَ الأخَ الأكبرا ؟!

ألمْ أعطِكَ الدِّين شمساً تضيء المسيرَ ، وبدراً يضيء السُّرَى ؟!

ألمْ أعطِكَ العلم غرساً نَما لديْكَ وأثمر ما أثمرا ؟!

ألمْ أعطِكَ الفنَّ حتى نحتَّ الصُّخورَ وصوَّر مَنْ صوَّرا ؟!

الغرب :

أخي أيها الشَّرقُ كنتَ الكريمَ معى ، بل تجاوزتَ حدَّ الكرَمْ

وأنتَ أبو الأنبياء الذينَ أناروا السبيلَ لكلِّ الأمم

وأنتَ أقمتَ صروحَ العلومِ والفنِّ أنتَ رفعتَ العَلَمْ

وكم شيمةٍ لكَ محمودةٍ لها لمعانُ نجومِ الظُّلَمْ

تعلَّمتُ منكَ الذى قُلتَهُ ولم أتعلَّمْ حميدَ الشِّيَمْ !!

▭

فماذا يُفيدُ كلامُ الإلهِ وماذا تُفيدُ علومُ البشرْ ؟

وماذا يُفيدُ جمالُ الفنونِ إذا كان طبعى طبعَ النَّمِر ؟!

كثيرُ الغرور ، كثيرُ الشُّرور خَطوفٌ ، نَهوشٌ ، غَضوبٌ ، غَدر

أحِبُّ الدِّماءَ فياليتها جرتْ بين شِدقَيَّ جرى النَّهَر

أقيمُ الحروبَ ، ولا أرتوى ولا ينطفى ظمئى المستعِر

أنا نَمِرٌ يا أخي فاتكٌ فَكُنْ أسداً تنجُ من فتكي
إذا كُنتَ مثلي قوياً فأنتَ أخٌ لِيَ تحذره قوّتي
وإن كُنتَ أضعفَ مِنّي فلا أراكَ أخاً لِيَ بل لُقْمَتي . !
أخافُ القويَّ فأمّا الضعيفُ فلستُ أراهُ سِوى أكلتي
أنا أيُّها الشرقُ وحشُ الوحوشِ فَويلٌ لِمَنْ حلَّ في قبضتي

▭

وآياتُ عِلمي وإنْ أعجزتْ فليستْ بوحيِ آيٍ مِن عَلِ
ولكنّها وحيُ شيطانِ عقلٍ بهِ يبتلي اللهُ مَنْ يَبْتَلِي !!
نَعِمْتُ بها جنّةً ، كلُّها ظِلالٌ ، وأنتَ بها تصطَلِي
أنا الغربُ يا شرقُ ، كلُّ اختراعي لوضْعِكَ يا شرق في المِرْجَل !!
فعندي من العقلِ خيرُ العقولِ ولكنْ أعيشُ ولا قلبَ لي !!

الشرق :

ألا أيُّها الغربُ لستَ النّمِرْ أفِقْ ، لستَ إلا عقيقاً سَكِرْ
فصُلتَ على الشرقِ وحشَ الوحوشِ تُزَمجِرُ في بدوهِ والحَضَر
وأمطرتَ أبناءهُ مِن يديكَ مظالمَ مِن فوقهم تنهمر
فهَبُّوا وقد طلعتْ شمسهم تُبدِّدُ ليلهمُ المُعْتَكِر
وكانوا نياماً فأيقظتَهُم وكلُّهمُ جمرةٌ تستعر

▭

أفِقْ أيُّها الغربُ إنّا صَحَوْنا ولاحَ الصّباحُ ، وبانَ الطريقْ
سنزحفُ ناراً إلى ما أردنا أخي لا تكُنْ في لهيبِ الحريق
سنمضي بحاراً إلى ما ابتغينا أخي لا تكُنْ في بحارِ الغريق
أفِقْ أيها الغربُ إنا انتفضنا زلازلَ تغشاكَ حتى تفيق
فتُبصر عيناكَ أنَّ الأسيرَ رمى قيدَهُ فهو حرٌّ طليق . !



كلتا هذه المرأة

بقلم السيدة أمينة السعيد

ما جلست مرة الى مصريين مثقفين ، وتناول الحديث بيننا حياة الناس فى الغرب ، الا سمعتهم يقرظون المرأة الغربية اجمل تقريظ ، ويسبغون عليها من آيات المديح ما يصورها للاذهان فى صورة الانسان الكامل ، الذى يستهدف الخير فى كل احساس يخالجه ، ويحقق الخير فى كل عمل يأتيه

والعادة ان يبدأ الكلام فى هذه الجلسات بمناقشة حول الحياة فى الغرب ، لا تلبث ان تتحول الى موضوع المرأة ، فيتسابق الجالسون الى ذكر مناقب الاوروبية او الانجليزية او الامريكية : حسب الظروف ... ويعددون مالا حصر له من محاسنها وفضائلها ، ثم ينتقلون من ذلك الى المقارنة بينها وبين المصرية ، فاذا بهم ينهالون على مواطنتهم بالعجب من الوان النقد والتجريح !

وامام الهوة السحيقة التى تفصل بين اطرائهم الغربية وقدحهم فى المصرية أو الشرقية ، يتصور المستمع اليهم ان النساء فى بلادنا يختلفن مادة ومعنى عن بنات جنسهن فى البلاد التى نصفها بالمتحضرة : نفسياتهن غير نفسيات الغربيات ، وعقلياتهن غير عقليات الغربيات ، واهدافهن بالمثل متعارضة

فهل الامر حقيقة كما يصفون ، وهل المرأة هنا غيرها هناك ؟

الجواب قطعا بالنفى ، وانا لا اقول ذلك على سبيل التحيز لمواطناتى ، انما اقرر حقيقة لمستها بنفسى خلال رحلاتى الكثيرة الى بلاد الغرب . واعتقد ان كل من سافر الى تلك البلاد بقصد الدرس والفهم قبل اى اعتبار آخر ، لابد ان يوافقنى على ان المرأة

هنا هي بذاتها هناك ، والاختلاف الوحيد في الشكليات ، التي تخضع في كل بيئة لاحكام الحياة القائمة فيها، ونوع المنطق الشائع بين أهلها

واقصد بالشكليات نوع التصرفات التي تتمشى عادة مع درجة الحضارة ومستوى الثقافة ، وطبيعة التقاليد القائمة . وما دمنا والغرب غير متشابهين في هذه النواحي ،فطبيعي

ولاذا شئنا ان نتجرد من عبادتنا للغرب ، ونتحرر من فعل مؤثراتها فينا ، نجد المرأة عندنا وعندهم مخلوقة واحدة في تكوينها النفسي والذهني .. انها الجنس الاضعف ، وهي تعرف ذلك ، ولكنها في الشرق تسلم بضعفها وتستسلم له ، اما في الغرب فتكابر بستار من القوة الزائفة يغريها به مركب النقص



مصرية



أسيوية

ان يكون للغربية طريقتها في التصرف، وللشرقية طريقتها الاخرى ، وما الطريقتان الا مظهر سطحي يخفي وراءه معدنا بشريا واحدا في الاثنتين

انها حقيقة لا جدال فيها ، ولكنها تغيب عنا احيانا ، لاعتيادنا اخذ الامور بظواهرها ، وميلنا الى الانتقاص من قدر انفسنا بدافع من شعورنا بتفوق الغرب علينا علما وحضارة

الذي تجسم فيها بعدما منحتها حضارة بلادها حريات رئيسية اضطرت معها الى أن تخوض معركة الحياة مع الرجل القوي جنبا الى جنب . ومعركة الحياة لاشك عصيبة مرهقة ، ومنافسة الرجل في ميادينه مهمة شاقة ، فلا غرابة اذا وجدنا الغربية تبالغ في التنكر لضعفها ، لتوهم نفسها بأنها ند للجنس الآخر،

وتقنع الجنس الآخر بأنه ليس السيد الذى خلقته الطبيعة لها

الغاية دائما الزواج

وحياة المرأة فى رأيى مراحل ثلاث: الشباب والنضج والشيخوخة ، فاذا اخذنا كلَ مرحلة على حدة ، ودرسنا فيها احوال الشرقية والغربية ، نجد المرأة عندنا ما تكاد تدخل طور الصبا ، حتى تضع فكرة الزواج هدفا رئيسيا لحياتها . وهى تعمل على بلوغ هذا الهدف باجتهاد يدفعها اليه اعتقادها بأن الزواج تقدير اجتماعى ممتاز وان حرمانها منه اهدار لكرامتها

كذلك الحال فى الغرب ، فالمرأة هناك تعتبر الزواج غاية الغايات ، وبالرغم من سبل الكسب المتوافرة لها ، والحريات الواسعة الممنوحة لها ، وما يترتب على هذه الحريات من علاقات جنسية تحلها التقاليد بلادها ... مع هذا كله نجدها تجرى وراء الزواج بمنتهى قوتهـا ، ولا تترك جهدا الا وتبذله فى سبيل اكتساب صفة المرأة المتزوجة . ويذكرنى ذلك بحديث سمعته من عميد احدى الجامعات الامريكية التى زرتها خلال رحلتى الى الولايات المتحدة ، اذ قال لى ضاحكا : الناس فى هذه المدينة يتفكهون على جامعتنا ، ويسمون شهادتها « M.C. » — وهما الحرفان الاولان من كلمتى عقد الزواج باللغة الانجليزية — لان الفتيات يلتحقن بصفوفها املا فى العثور على زوج ، فاذا تحقق لهن الامل ، تركننا قبل اتمام الدراسة ، ويندر ان تبقى واحدة منهن معنا الى النهاية !

امريكية



اوروبية

وسيلتان الى نهاية واحدة

وكثيرا ما قابلت امريكيات او انجليزيات او فرنسيات ، اكدن لى انهن كن قبل الزواج يعملن فى وظائف ممتازة ، ويتقاضين رواتب اكبر مما يتقاضاها أزواجهن الحاليون، ولكنهن ضحين بالمهنة الطيبة والدخل السخى فى سبيل تكوين اسرة

ونفهم من ذلك ان الجوهر واحد هنا وهناك ، فالشرقية والغربية تستهدفان غرضا واحدا ، ولكنهما تسلكان فى السعى اليه سبيلين يختلفان باختلاف أوضاع مجتمعيهما :

ففى الشرق تعمل المراة على اقتناص الرجل بالتجمل والزينة فى اطار من الخفر والحياء والتحفظ يظهرها - ولو كذبا - فى صورة البراءة والزهد فى الرجال . ولا شك ان هذه الوسيلة تتلاءم تماما مع طبيعة الرجل الشرقى الذى يقدس العفة فيمن يختارها زوجة ، ويكره بحكم تقاليده الموروثة ان ياكل من فضلات غيره

اما الغربية فتنطلق فى سعيها الى الزواج على طريقة بلادها : تتجمل وتتزين فى غير خفر او تحفظ ... تجاهر فى المجتمع باحساساتها وانفعالاتها ، ولا تتحرج عن اشباع رغباتها ، مطمئنة الى انها الطريقة المجدية فى اجتذاب مواطنها الذى لا يعترف بتقاليد الشرق المتزمتة ، ويؤمن بحق المراة فى الحرية ، ولا يضيره ان تعيش قبل زواجها به مثلما عاش قبل زواجه بها

واجبات ام افضال ؟!

وبالزواج تبدأ مرحلة النضج فى حياة المراة ، وهى المرحلة التى تحمل فيها مسئوليات الاسرة ، ويقول رجالنا فى نقد الزوجة الشرقية : انها على خلاف اختها الغربية ، لا تقوم بواجباتها البيتية على الوجه الاكمل، ولا تعين شريك حياتها بالجهد والموهبة ، ومن اجل تقصيرها هذا يثقل العبء على الرجل

وهذا بدوره وهم لااساس له من الصحة ، فالحقيقة أن الزوجة عندنا تقوم فى حدود امكانياتها بمثل ما تقوم به الغربية ان لم يكن اكثر : تخدم زوجها وتربى أولادها وتنظف بيتها ، وتطهو طعام أهلها ، وتغسل لهم ثيابهم ... وقد تكون الى جانب ذلك متكسبة - كما هو الحال فى الطبقتين الوسطى والدنيا - تشتغل فى الحقل او المصنع او المكتب ، وتتقاضى فى مقابل جهادها اجرا تضيفه الى ميزانية البيت ، فتوفر به لمن حولها حياة أفضل ... انها تفعل هذا كله ، وتؤدى من الخدمات اجلها واعظمها ، ولكننا لا نشعر بفضلها ، لانها تعمل فى صمت ، مؤمنة بان جهودها المرهقة فى خدمة الاسرة ، واجبات حيوية يتحتم عليها ان تؤديها بلا أدنى تردد او تذمر

ولسنا ندعى ان الغربية تقصر فى خدمة بيتها ، او تتوانى عن معونة زوجها بكسبها ، فجدارتها ثابتة فى هذين الميدانين ، ولكننا نلمس جهودها بصورة أوضح ، لانها - على عكس الشرقية - تعتقد انها غير ملزمة

بالتضحية من اجل اسرتهـا ، فكل عمل تقوم به صدقة تتفضل بها على زوجها . ولانها تجاهر دائما بهـذا الراى ، ولا تترك فرصـة دون ان تنتهزها لاعلان معونتها العائليـة ، يتوهم الناس أنها اكثر فضـلا من غيرها

ويذكرنى هذا الكلام بصـديق انجليزى دعانى الى زيارته خـلال وجودى بلندن فى الربيع المـاضى ، اذ قال فى التعقيب على اعجابى ببيته الجميل الانيق : انه ملكى ، وقـد اشتريته بعد سنوات من الارهاق والكفاح

ولكن زوجته غضبت لكلامه هذا، وقالت بانفعـال ملحوظ : انا التى اشتريته لا انت ، فلولا خدمتى لك، وطهوى طعامك ، وغسلى ثيابك ، ما امكنك ان تدخر ثمن البيت

ثم التفتت الى تقول : «وهل كنت ملزمة باداء هذه الاعمال ؟ »

وهذه طريقة الغربية فى التفضل بخدماتها ، لتوهم المجتمع بانها تاتى العجائب ، والحقيقة انها تقوم باخص واجباتها فى الحياة

شيخوخة واحدة

وننتقل من مرحلة النضـج الى الشيخوخة ، فنجد ان المراة الشرقية عندما تنتهى من واجباتها فى الحياة، اى انجاب الاولاد وتربيتهم ...الخ تتحول فى معظم الاحيان الى عجوز مستبدة تفرض اهميتها على أسرتها، وتتسلح بشيخوختها فى اكتسـاب مكانة ممتازة بين اهلها ، ومن هنـا يأتى ضيقنا بالحموات والجـدات والعمات والخالات

أو قد تكون امرأة سـلسة القياد بطبعها ، فتنصرف فى خريف عمرها الى المبالغة فى العناية بحفيداتهـا واحفادها ، وتتسلى بالثرثرة فيما يخصها ومالا يخصها من شـئون غيرها واحوالهم

ولكن عجائزنا لسن فـريدات فى هذا الباب ، فطابع الشيخوخة هكذا فى كل مكان وزمان ، وفى الغرب نجد ذات الامر ، انما على نطاق اوسـع يتمشى مع درجة الحضارة هنـاك ... فبحكم الثقافة الشائعـة فى النساء ، لاتقصر الغربية نشاطها فى خريف عمرها على الدائرة العائليـة الضيقـة ... انما تتخطاها الى المجتمع الواسع الكبير ، فتحشر انفها فى كل عمل خيرى او سـياسى او صحى ، وتفرض رايها وسلطانها على من يشتغلون معهـا من الرجال والنساء

واذا كانت الشرقيـة تتسلح بشيخوختها فى اكتساب مكانة عائلية ممتازة ، فالغربيـة تتذرع بعمرها الطويل فى انتزاع مكانة اجتماعيـة مرموقة ، والنتيجة ان معظم الهيئات الاهلية فى أوربا وبريطانيا وامريكا ، تخضع لرئاسة عجائز مستبدات ، يعطلن سير العمل بثرثرتهن ولجاجتهن وتكبرهن ، ولا من يقـوى على الاحتجاج خوفا من السنتهن السليطة!

صور براقة من تقديس الغربيين للشرق واعجابهم بفنونه وتقاليده ولغاته



غربيون هاموا بالشرق العربي

بقلم الدكتور أمير بقطر

لو شئنا لملأنا صفحات كتب ومجلدات ، بآثار اولئك الامجاد الذين هاموا بالشرق فى خلال المائة سنة الماضية ، فأحبوا اهله، واعجبوا بتواريخه ، وقدسوا تقاليده ، وتعشقوا فنونه ، ودرسوا لغاته ، وشغفوا باطلال ماضيه وعمران حاضره .. على ان كاتب هذه السطور آثر ان يقصر بحثه هنا ، على عدد قليل جدا من اولئك الذين عرفهم وعلقوا بذاكرته ، واستولوا على مشاعره ، فى حقبة قصيرة من الزمان ، وفى رقعة محدودة من بلدان الشرق المترامية الاطراف .. اما الزمان ، فالقرن العشرون ، واما المكان فالشرق العربي ومصر

ولست أدرى بمن ابدأ وبمن انتهى وجل ما اخشاه ان يتطرق الى ذهن القارىء انني ارتب هؤلاء الاماثل بحسب اهميتهم ، اذ الواقع ان كلا منهم يمتاز بناحية من النواحى التى استأثرت باهتمامه ، وتغلغلت فى جوارحه، فليس من الانصاف تفضيل احدهم على سواه ، لاختلاف هذه النواحى ، وتنوع الظروف المحيطة بها

سيدة الاحلام

اقدم «جرترود بل» Gertrude Bell السيدة النبيلة المقدامة ، لكل شاب وشابة ،مثلا أعلى للطموح ،والشجاعة والاقدام ، وحب المخاطرة ، والاعجاب بجمال الطبيعة ، وحب الانسانية ، وعمل الخير ، وتحمل المشاق فى سبيل الكشف والدرس والاستطلاع . لم تعش الا نصف قرن وبضع سنوات ، نصفها فى القرن الماضى والنصف الآخر تقريبا فى القرن العشرين . ولم

تكد تتخرج فى جامعة اكسفورد، حتى شدت رحالها الى الشرق العربى، حيث قضت فيه البقية الباقية من عمرها، متنقلة بين دمشق، والقدس وبيروت، وبغداد، فضلا عن فترات قصيرة فى تركيا والقاهرة وايران.

وقد بلغ من هيامها بالصحراء: انها سلخت فيها زهرة العمر بعد سن العشرين. وعاشت بين البدو، وتعرفت على رؤساء القبائل، وزعماء العشائر. واستعانت بأموالها الخاصة وعطف اسرتها الانجليزية الارستقراطية على تزويدها بقوافل الابل والبغال والحراس والخدم والقواد، فقطعت المسافات الشاسعة وجابت الهضاب والوديان، وتسلقت الجبال، وتكبدت مشاق الطرق والمسالك الوعرة، وتعرضت لقطاع الطرق، وتحملت حرارة القيظ وزمهرير الشتاء. وزاد الطينة بلة اشتباه حكام الاتراك فى ذلك الحين فى اغراضها، وتتبع حركاتها، ونصب الشراك لها. وتمكنت من اكتساب قلوب الكثيرين من كبار رجالات العرب والبدو والدروز، واعجبت فيهم بروح الشهامة والشجاعة والمروءة، وولعت بعاداتهم وخلقهم، ودرست آثارهم وتاريخهم، وملأت مذكراتها ورسائلها باخبارهم وتقاليدهم، حتى اصبح يطلق عليها فى أوربا والبلدان العربية اسماء «سيدة الاحلام» و «ملكة الصحراء» و «ديانا البادية» و «خرافة الصحراء»

وبلغ من شدة ذكائها وعكوفها على الدرس والتحصيل انها كانت تجيد العربية والسريانية والعبرية والتركية والايرانية، فضلا عن الفرنسية ولغتها الانجليزية.. بيد انها قضت السنوات العشر الاخيرة من عمرها فى بغداد فعشقت كل شىء فيها رغم قسوة جوها، وضحت بكل جهودها فى خدمة اهلها. واستعانت بها الحكومة الانجليزية فى خلال الحرب العظمى الاولى فى الدور الذى مثلته فى البلدان العربية، فنيط بها كل ما يمس العلاقات الاجتماعية بكبار العرب، بفضل صداقاتها واحترامهم لشخصها.. ولكنها كانت تكره السياسة رغم ذلك، وكانت تصرح للانجليز بقولها ان كراهية العراقيين للانتداب لا تفوقها الا كراهية المصريين للحماية. وكان الملك فيصل يقول عنها انها ولدت فى انجلترا وتربت فى اكسفورد، ومع ذلك فهو يتفق معها فى آرائها وتفكيرها، وهو من مواليد مكة، ومن خريجى معاهد الاستانة

ولم تكتف بالمهام الثقيلة التى وكلتها اليها بريطانيا فى بغداد، فساهمت فى تحرير مجلة بالعربية والانجليزية، وجندت نساء بغداد - بمساعدة الملكة علية وحرم جعفر باشا - لتأسيس المنشآت العلمية والخيرية، وبذلت جهودا جبارة فى جمع الآثار البابلية والآشورية وتبويبها وترتيبها وانشاء متحف الآثار الذى يشهد لها اليوم فى بغداد بغزارة علمها.. فلا عجب اذا شهد الزائر لذلك المتحف لوحة تذكارية تخليدا لاسمها، امر باعدادها الملك فيصل، كما امر



جرترود بل — الدكتور روبرت مكلانهن

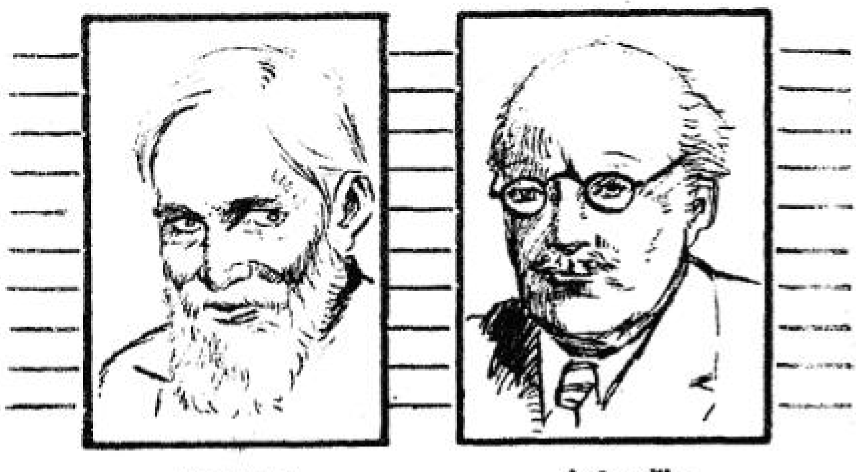
باطلاق اسمها على احدى قاعاته الكبرى وقد ابت الا ان يدفن رفاتها على مقربة من بغداد ، وقد شيعت جنازتها فى ١٢ يولية سنة ١٩٢٦ باحتفال عسكرى رهيب

عاشق الموسيقى العربية

« تشارلس كرين « Charles Crane من كبار رجال الاعمال ، ومن الاثرياء الامريكيين الذى شغفوا بالشرق العربى ، وكلفوا به الى درجة تكاد تكون جنونا .. فقد كان الى ان وافاه القدر المحتوم — بعيد الحرب العالمية الاخيرة — يترك اعماله الكثيرة فى امريكا اكثر من مرة كل عام ، ليتجول فى ربوع مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وسائر البلدان الناطقة بالضاد ، ويستمتع بجوها ، ويتحدث الى الكثيرين من اصدقائه ولا سيما الملك عبد العزيز آل سعود

بيد ان « كرين » لم يكن مولعا بما يولع به الكثيرون من الغربيين .. اذ لم تكن الآثار ، او الصحارى ، او كرم الاهلين ، او عراقة التاريخ — او غير ذلك مما يهفو فى اثره عشاق الشرق — لم تكن هذه او تلك من الاشياء التى استهوته ، واستولت على مشاعره . ان ما تملك لبه فى هذه البلدان ، قلما يعبأ به اوربى او امريكى ، بل لا نبعد عن الصواب اذا قلنا ان اكثر من تسعين فى المئة من هؤلاء تتصدع آذانهم لسماعه ، ونعنى به الموسيقى العربية

لقد بلغ من غرامه بالموسيقى العربية والحانها ، انه جمع الألوف من الاسطوانات من مختلف الانحاء فى الشرق العربى ، وكان لا يدخر مالا أو جهدا الا يبذله فى الحصول على اندر الالحان واقدمها ، وان اختفت من السوق . وكان فى جولاته العديدة فى



رونالد ستورز　　　　فلندرز بترى

هذه البقعة من الارض، لا تفوته حفلة موسيقية او غنائية شرقية ، وكان احب الوان الكرم وحسن الضيافة عنده ، ان يدعى لسماع موسيقى او مطرب فى بيت عربى

ومما لا انساه له واقعة حال ، قد لا يعرفها الا من يزيد عددهم على اصابع اليد الواحدة . كان ذلك منذ اكثر من عشرين عاما . . المكان الزمالك بالقاهرة ، ورب البيت عربى سورى من هواة الموسيقى ، والضيف مستر « كرين » ، والمطربة سيدة فى العقد الرابع من عمرها ، والعازف على الكمان غلام فى جلباب ابيض ، هو ابنها . ولما كانت الحفلة خاصة ، وقد هزت الموسيقى مشاعر الضيف ، فقد أبت نفسه الا ان يشرك غيره فى سماعها . . فطلب الى الام والابن ان يطربا طلاب احد المعاهد الاجنبية الكبرى واساتذتها فلبيا الدعوة ، وجلست الام وراء ستار يحميها عن الانظار ، واحتفظت رغم ذلك بقناعها الابيض فوق وجهها ، وظلت تغرد ، وابنها يصحبها على الكمان زهاء ساعة ، وقد ظل « كرين » الى يوم وفاته محتفظا بهذه الذكرى ، كريم العهد ، جميل الرعاية ، حتى انه كان يبعث لهما كل عام من امريكا بهدية سخية عن طريق ذلك المعهد .

وقد شب الغلام رجلا ، واصبح مطربا كبيرا وموسيقيا يشار اليه اليوم بالبنان

حاتم امريكى

قدم دكتور « روبرت مكلانهن » Robert McClenahan مدينة اسيوط من امريكا فى اواخر القرن التاسع عشر ، للانضمام الى هيئة التدريس بكلية الامريكان ، بعاصمة الصعيد . وقد استرعى الأنظار ، منذ وطئت قدماه المدينة بامتداد قامته وحسن طلعته ونبل سجاياه . بيد ان احدا

فى ذلك الحين لم يكن يدور بخلده ان ذلك الشاب القوى الفتى سيصبح بين عشية وضحاها مصريا لحما ودما يكب على دراسة العربية ، الدارجة والفصحى ، فيتكلمها ويكتبها ويخطب بها كابنائها . ولم يكن يدور بخلد احد انه سيندمج فى الحياة المصرية بوجدانه وعقله وروحه ، فيحب مصر والمصريين ويقضى وزوجه ما يوشك ان يكون نصف قرن فى خدمة الشباب المصرى ، فى الصعيد اولا ، ثم فى القاهرة بعد ذلك

كانت وظيفة دكتور « مكلانهن » الرسمية استاذا بكلية اسيوط ، ثم مديرا لها ، الى اواخر العقد الثانى من القرن العشرين ، ثم عميـــدا للجامعة الامريكية بالقاهرة بعد ذلك الى ان احيل الى الاستيداع بعـــد ذلك بنحو ٢٥ عاما . غير ان دكتور « مكلانهن » لم يكن مربيا وحسب ، لقد كان اجتماعيا بكل ما تشمله هذه الكلمة من اسمى المعانى . فقد كان بيته مفتوح الابواب للالوف الذين تخرجوا على يديه منذ قدم البلاد المصرية .. وكانت مائدته لا تخلو يوما واحدا من اصدقائه المصريين الذين كان يعتز بهم ، ويبالغ فى اكرامهم من عظماء ووزراء واغنياء وفقراء . وكانت زوجته الفاضلة ، مسز مكلانهن لا تقل عنه كرما ، فكان مجلسهـــا لا يخلو من كرائم المصريات ، وكانت صديقاتها من اقاصى الصعيد الى القاهرة وشمالها لا يحصين عددا

وقد عاد كلاهمـــا الى امريكا ، ولكنهما ظلا فى مصر شعورا ووجدانا الى النسمة الاخيرة من حياتهما . ظلا يكاتبان التلاميذ القدماء ، ومئات المعارف والاصـــدقاء المصريين من جميع الطبقـات . ومن الغريب ان أنجالهما الثلاثة وكريمتهما الوحيدة ــ وجميعهم ولدوا فى عاصـــمة الصعيد ــ لا يقلون عنهما مصرية . فكل من دكتور وليم مكلانهن وجون مكلانهن ، وهما من مشاهير الاطباء هناك ، والكولونيل ولاس مكلانهن ، من كبار رجال الاعمال ، وشقيقتهم هلن ، زوجة طبيب امريكى شهير ، كلهم يكنون لمصر كل حب وود ، واجمل عاطفة وانبل وجدان

عاشق الآثار

لو ان كاتبا وضع مجلدا ضخما عن ابرز الشخصيات الاجنبية التى هامت بمصر ، لكان لعلماء الآثار فى هذا المجلد اوفر نصيب . فلو اننا خصصنا هذا العـــدد من الهلال برمته لسرد الجانب اليسير من حياة هؤلاء فى وادى النيل ، لضاقت بهم صفحاته . وحسبنا ان نضع امام القارئ علمين من اولئك الاعلام ، لا لتفوقهم على سواهم ، وانما لانهما اقرب الى ذهن الكاتب ، لاتصاله بهما بعض الزمن عن طريق مباشر تارة وغير مباشر تارة اخرى

احدهما دكتور « رايزنر » George Reisner العالم الامريكى الاخصائى فى الآثار المصرية ، الذى قضى نصـف قرن تقريبا فى الحفر والتنقيب ، والرسم

والتصوير ، والتأليف ، فى مناطق اهرام الجيزة ، ونوبيا ، وجرجا ، وسماريا ، وبرشه ، ودنقلة . وقد كانت دراساته للغات السامية فى جامعة هارفرد ، حافزا له على دراسة الآثار المصرية ، وتخرجه فى ذلك المعهد العظيم فى اواخر القرن التاسع عشر . ومما يدل على تفوقه ونبوغه انه عين فورا مساعدا فى القسم المصرى فى متحف برلين ، فاستاذا بجامعة هارفرد ، فمديرا للقسم المصرى فى متحف بوستن ، فرئيسا لبعثة هارفرد الى مصر للحفر والتنقيب عن الآثار فى سنة ١٩٠٥ ، وقد واصل عمله فيها الى ان توفى فى مصر منذ عهد قريب

لم يكن دكتور « رايزنر » عالما وحسب ، ولكنه كان فنانا موهوبا ، ولع بالفن المصرى القديم ، فأحب مصر وولع بأهلها ، وعشق صحراءها ، فأبى ان يعيش فى احياء القاهرة الارستقراطية أو ضواحيها .. وآثر ان يقضى تلك الاعوام الطويلة فى استراحته المتواضعة خلف الاهرام بين الوف الاوراق ، والرسوم والصور وبين انقاض الحفريات واكوام الرمال تحت شمس الفلاة المحرقة . وكان مساعدوه والسيدات اللاتى كن يقمن باعمال السكرتيرية ، يقضون طيلة النهار من مطلع الشمس الى مغربها فى الصحراء ، ثم يعيشون فى مساكن مريحة فى القاهرة . اما هو فكان لا ينتقل من مكانه ، الا اذا عهد اليه بمهمة لا مناص منها

وبالرغم من مؤلفاته العديدة ، فان ما لم ينشر للآن منها ، وما هو معد للطبع فى جامعة هارفارد ، يصعب حصره . وقد صدق احد زملائه الذى قال ان ميزانية القسم المصرى فى تلك الجامعة ، تعجز عن نشر الصور والرسوم العديدة التى نقلها عن اصولها ، والمجلدات الكثيرة التى ضمنها ادق المعلومات من آثار الفراعنة اللهم الا اذا واصلت انجازها الى نهاية القرن العشرين . ويتضح من هذا المجهود الجبار الذى قام به ، ومن مواصلته العمل ورفضه ان يتقاعد وايثاره البقاء فى مصر الى ان وافاه القدر فى العقد التاسع من عمره ، يتضح من كل هذا انه كان احد أولئك الغربيين الذين كان الباعث الحقيقى على بقائهم فى مصر ، شغفهم بمناخها ولغتها واهلها وآثارها وغرامهم بهذه الرقعة من الشرق ، وما يكتنفها من حلم وخيال وقدسية

مكتشف « المدينة المفقودة »

حسبنا دليلا على هيام « فلندرز بترى » F. Petrie بالشرق انه قضى ٤٥ سنة من عمره فى مصر و ٧ سنوات فى فلسطين ، وكان كزميله دكتور رايزنر من عشاق الآثار . فمنذ قدم مصر من وطنه انجلترا سنة ١٨٨٠ عكف على الحفر والتنقيب عن آثار الفراعنة فى منطقة الاهرام بالجيزة ، ثم فى معبد تانيس العظيم . وهو الذى اكتشف مدينة « نيكروتيس » الاغريقية بالدلتا والتى تسمى بالمدينة المفقودة . ثم تبع ذلك كشفه عن بلدتى « آم »

و « دفنى » . واتجه بعد ذلك الى الفيوم وصفط ميدوم ووضع مؤلفات عدة ، تملأ اسماؤها هذه الصفحة باكملها، واسس مدرسة الآثار البريطانية، التي قامت بالحفريات فى منطقة منفيس

وكان الذي يرى بيتري ، لايصدق انه ذلك العالم الذى ضحى حياته للكشف عن امجاد الفراعنة ، والف هذه المجلدات .. فقد كانت ملابسه غاية فى البساطة ، وكان سلس الطباع ، هادئا ، رقيق الحاشية ، وكان قوته لايزيد كثيرا على ما ياكله عماله ، وكانت وسائل الراحة فى العراء الذى كان يعيش فيه لا تختلف كثيرا عما كان لهم منها ، ولولا ان حبه لهذه البلاد كان يملأ كل جارحة فيه لما سلخ كل هذه السنوات من عمره فيها ، وقلما كان يهفو قلبه الى وطنه او يهزه الشوق اليه ، فقد آثر ان يموت فى الارض التى هام بها ، فاخذ يتنقل فى اخريات ايامه بين مصر وفلسطين حتى طوى الدهر سجله الحافل فى القدس فى ٢٨ يوليه سنة ١٩٤٢

نصير فلسطين

ليس «رونالدستورز» Ronald Storrs فى حاجة الى تقديمه للقراء ، فهو معروف لدى المصريين بالدور العظيم الذى قام به فى دار «المندوب السامي» فى مصر ، وبثقافته العربية ، وتمكنه من اللغات السامية ولا سيما العربية. وقد عرف وهو حاكم فلسطين بتحيزه السافر للشرق العربى ، وصداقته الخالصة للشعوب الناطقة بالضاد ، وقد اشتهر بصراحته ، ومجاهرته امام ابناء جنسه بحزنه على نكبة فلسطين وتهاون العرب فى المحافظة على حقوقهم وبالجريمة التي ارتكبتها بريطانيا فى الارض المقدسة مما ادى الى ضياعها

وكان اذا اجتمع بمصريين او عرب آثر مخاطبتهم بالعربية مهما بلغ اتقانهم للانجليزية ، وسواء اكانوا افرادا ام جماعات ، وكان من هواة السلع الشرقية التى تعرض فى اسواق دمشق وبيروت والقدس والموسكي « القاهرة » ، شغوفا بالابسطة والسجاجيد الوطنية التى جمع الكثير منها. فلا عجب اذا رثته الصحف العربية بما يليق به من التكريم والتقدير عندما وافاه القدر فى نوفمبر الماضى سنة ١٩٥٥

هل تعلم ؟

● كان الرسام الهولندى « رامبراندت » من عشاق الفن الاسلامى ، وقد اقتنى مجموعة كبيرة من التحف الاسلامية، وعندما اضطرته ظروفه المالية الى بيعها ، قام بعمل رسوم دقيقة لها

ان ابشع مغالطة عند الغربيين هي زعمهم انهم يؤمنون ويعملون طبقا لمبدأ « الحق فوق القوة ! »



القوة

هي اللغة التي يفهمها الغرب !

بقلم الأستاذ حبيب جاماتي

ان المبدأ الازلى ، الذى لا يتطرق اليه تغيير ولا تبديل ولا تحوير ، عند الغربيين افرادا وجماعات ، هو مبدأ « القوة » والخضوع لها ، ومحاولة اخضاع غيرهم لها !

عبثا نحاول ان نجد فى صفحات التاريخ حادثا يكذب هذا الذى نقوله عن الغرب . وعبثا نحاول تطبيق مبدأ آخر غير مبدأ القوة على اى تطور وقع فى الشرق او الغرب ، وكان لدولة غربية ، او لاكثر من دولة غربية ، علاقة به !

يتحدث الغربيون عن « الحق » ولكنهم لا يتمسكون بأهدابه الا بمقدار ...

بمقدار ما تدعمه القوة !

وهم يفعلون هذا مع بعضهم بعضا، فى بلادهم ، كما يفعلونه مع غيرهم من اهل البلاد الاخرى !

يعلن فلاسفتهم ، ويردد كتابهم ، ويصرح ساستهم ، بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه . وبأن القوة يجب ان توضع فى خدمة الحق . وبأن الحرية والمساواة والاخاء يجب ان تكون الدعائم الثلاث التى يقوم عليها صرح البشرية وكيان الانسانية ...

ولكن هذا الذى يعلنه الفلاسفة ، ويردده الكتاب ، ويصرح به الساسة، لا يخرج عن نطاق المبادىء التى لا يتناولها التطبيق ...

اما من الناحية العملية ، فالعكس هو الذى يحدث . فالساسة الذين يديرون دفة الحكم ، ويتصرفون فى اقدار الشعوب ومصائرها ، يفعلون غير ما يصرحون به ، ويؤيدهم فى ذلك جيش من الكتاب المأجورين او المخدوعين . بينما الفلاسفة ينظرون الى ذلك كله ساكتين !

ان القوة هى اللغة الوحيدة التى يفهمها الغرب ولا يتخاطب الا بها . وهى عنده فوق الحق دائما ، واذا كان هناك حق محترم عند الغربيين، فهم لا يحترمونه عن عقيدة وايمان ، وانما يحترمونه لان هناك قوة تدعمه وتحميه !

اما الحق الاعزل ، الذى لا قوة تدعمه وتحميه فهو فى نظر الغربيين ليس جديرا بأن يحترم ، او هــو باطل يجب ان يحارب !

ولو اردنا ان نســوق امثلة ، لملأنا بها مجلدات !

انشأ الغربيون بعد الحرب العالمية الاولى هيئة دولية سموها « جمعية الامم » وكان تأسيسها على مبادىء اعلنها فى بادىء الامر ، الرئيس ولسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، وعرفت باسمه ، وايدها العالم بأسره !

وانشأ الغربيون ايضا ، بعد الحرب العالمية الثانية ، هيئة اخرى سموها « هيئة الامم المتحدة » وكان تأسيسها على مبادىء مماثلة لتلك التى اعلنها ولسون وقامت عليها جمعية الامم . . .

وماتت الهيئة الاولى لان الدول التى اشتركت فيها لم تحترم تلك المبادىء وعملت على تقويضها بلا انقطاع

جعلت القوة حكما فى المنازعات بدل أن تجعل الحق حكما فيها !

كذبت على نفسها ، وكذبت على غيرها !

وساد الظلم بدل ان يسود العدل وذهبت جمعية الامم غير مأسوف عليها .. بل ذهبت فى غمرة النار والخراب والدمار ، لان اعمالهـــا اسفرت عن حرب جديدة ، اكتوى العالم بلهيبها ولا يزال يئن من نتائجها!

وجاءت الهيئة الثانية التي لا تزال قائمة الى الآن ، فى نيويورك ، والتى تشترك فيها معظم دول العالم . . . ومفروض فى هذه الهيئة انها تضمن فوز الحق على الباطل ، وتدع السلام يسيطر على القوة ويكبح جماحها ، ولكن .. هل الواقع ينطبق على هذا « المبدأ » ـ مبدأ الحق فوق القوة ؟

لسنا فى حاجـة الى تفكير طويل لكى ترد على هذا السؤال بالنفى !

نعم ، ان العالم لا يسير الآن على مبدأ « الحق فوق القوة » ، بل انه لا يزال سائرا ، او مسيرا ، على المبدأ العكسى : القوة فوق الحق !

ويرجع اللوم فى قيام هذه المغالطة على « الغرب » لا على « الشرق » فاذا القينا نظرة على خريطة العالم ، من شرقه الاقصى ، الى شرقه الاوسط الى غربه ، الى أقصى ذلك الغرب ، فلن نجد على الخريطة بلدا واحدا لا يشكو من الظلم ، ومن تطبيق مبدأ « القوة فوق الحق » . ولا نجــد شكوى من هذه الشكاوى تنصب على غير الغرب ، وتدمغه بأنه متسبب الظلم ، والعامل على ابقائه ، اوالحائل بالقوة دون التخلص منه !

ليس فى العالم الآن بلد مظلوم الا والغرب هو ظالمه ، اما كله مجتمعا ، واما بعضه مؤيدا بعضــه ! والبلد الذى كان مظلوما ورفع عنه الظلم ، او كان مهضوم الحق واعيد اليـه حقه ، انما وصل الى تحقيق هـذه الامنية ، وبلغ هذا الهدف ، لا لان الغرب نزل على الحق وعدل عن الظلم ، بل لان البلد المظلوم ، المهضوم الحق ، قد ثار على ظالمه وهاضم حقه ، وعمد الى القوة لكي ينصف نفسه ،

او اعتمد على بلد آخر ايده بالقوة ووضعها فى خدمته لانصافه !

واليك بعض الامثلة ، وهى قليل من كثير :

هذه مصر ...

ظلت اكثر من سبعين سنة تطالب بأن يعاد اليها حقها ، وترفع القيود عن حريتها ، وتحترم سيادتها

وكانت القوة وحدها تحول دون اجابتها الى ما تطلب !

فثارت مرة بعد مرة ...

وعمدت من ناحيتها الى القوة لتأخذ بها حقها . وبرغم التفاوت الكبير بين قوتها الضئيلة ، وقوة الخصم الرهيبة ، عدل هذا الخصم فى النهاية عن عناده ، واثبت انه لا يفهم لغة العقل والمنطق والعدل ، ولكنه يفهم لغة القوة !

لم يقتنع الانجليز بوجوب احترام « حق » مصر ، الا بعد ان شعروا بأن مصر اصبحت خطرا عليهم باعتمادها على القوة ... او بتحويل ضعفها الى قوة !

وما حدث لمصر ، حدث من قبل لسوريا ولبنان . وحدث لافغانستان ولاندونيسيا ، وللهند الصينية .. ولغيرها من البلدان التى كان «حقها» مهضوما فطالبت باحترامه دون جدوى . ثم اخذته لما ثارت فى وجه الغرب وخاطبته باللغة التى يفهمها دون سواها : « القوة ! »

لم يأخذ الشرق شيئا من الغرب بالحسنى ! وكل ما اخذه منه ، سواء أكان حقا كاملا او بعض الحق ، اخذه بالقوة ، او بالتلويح بالقوة !

بعد الحرب الاولى ، اراد الغرب أن يذل الدولة العثمانية ويبقيها تحت نيره . وعبثا حاول ساستها ان يقنعوا الدول المنتصرة بأن بقاء الدولة العثمانية — بعد سلخ العناصر غير التركية عنها — هو فى مصلحة العالم

ولما يئس الترك ، عمدوا الى القوة وبها فرض مصطفى كمال بقاء بلاده دولة قائمة ، وبعد ان فشل فى اقناع الغرب بالحسنى ، اقنعه بالعنف !

ان الدول الغربية فيما بينها تتشدق بالمبادىء ولا تعمل بها . واللغة التى تحاول دول الغرب ان تقنع بها بعضها بعضا ، هى لغة القوة ايضا — تماما كما تفعل مع البلدان الخارجة من نطاق الغرب !

قامت الحرب العالمية الاولى على القوة ، وانتهت بفوز القوة ، وفرض الصلح على المغلوبين بالقوة !

وهكذا حدث فى الحرب العالمية الثانية ، التى يسمونها « الاخيرة » وهى فى الواقع لم تصل الى نهايتها بعد !

ففى هذه الحرب ، كانت القوة وحدها هى القول الفصل . والى الآن تطبق الشروط التى يمليها الاقوياء على الضعفاء لا عملا بمبادىء الحق والعدل والانصاف ، بل لان الاقوياء يريدون ان يفعلوا ما يفعلون، معتمدين فقط على قوتهم التى يستطيعون بها ان يفرضوا ارادتهم لا ان يفرضوا الحق !

الغرب يذعن للقوة ، أو يذعن خوفا من القوة !

وقد صدق الامير شكيب ارسلان في قوله :

فدى لحمانا كل من يمنع الحمى
ومن ليس يرضى حوضه متهدما
فما العيش الا أن نموت اعزة
وما الموت الا أن نعيش ونسلما
تجاهل اهل الغرب كل قضية
اذا لم يكن فيها الحسام مترجما

ولعل قضية فلسطين ، بالنسبة الى العرب ، هي أقسى تجربة عانوها من هذا القبيل : فرض الظلم بالقوة ، ونكران الحق بالقوة !

وفي هذه القضية ، لم تنفرد دولة واحدة في نكران الحق وجعل القوة هي التي تفرض الظلم فرضا على العرب ، وانما فعلت ذلك مجموعة من الدول المشتركة في هيئة الامم ، وبضغط من الدول القوية !

هيئة الامم التي انشئت لنصرة الحق ... هي التي تهزمه وتعمد الى القوة لنصرة الظلم !

والدول الكبرى تضغط بالقوة ، او بالتلويح بالقوة ، على الدول الاخرى التي تتردد في نصرة الحق على الظلم !

وما يعانيه الشرق كله ، من ادناه الى وسطه الى أقصاه ، سببه القوة ، أو نكران الحق وفرض الظلم بالقوة أو تهديد صاحب الحق المطالب بحقه باستخدام القوة ضده اذا واصل المطالبة بحقه !

تصفح خريطة العالم مرة اخرى ، وتساءل :

هل هناك قضية واحدة من القضايا الوطنية حلت بمعرفة الغرب ، او بالاتفاق معه ، او ضده ، بالوسائل السلمية ، اي بمقارعة الحجة بالحجة او التخاطب بلغة العقل ؟

ومرة اخرى ، سيكون ردك : لا !

اذا كنت صاحب حق ، فان الغرب لن يعترف لك بحقك الا اذا لوحت له بالقوة التي تدخرها للدفاع عن ذلك الحق او المطالبة به ...

اما اذا كنت ضعيفا فالويل لك !

فأما ان يظل حقك الى ما شاء الله مهضوما ... واما ان تبحث عن حليف قوي يضع قوته في خدمة حقك لينصره وينصفك !

والامثلة من هذا القبيل لا تقع تحت حصر .. مصر ، وسوريا ، ولبنان ، واندونيسيا ، وافغانستان ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والهند الصينية . وغيرها وغيرها من البلدان ... لم تأخذ حقها كاملا ، أو جزءا من ذلك الحق ، ولم يقتنع غاصب الحق بوجوب التفاهم والاخذ والرد ، الا بعد ان عمدت الى استخدام القوة ، او هددت باستخدامها ، او وجدت قويا يسندها ويقف بجانبها

هكذا كان بالامس ...

وهكذا الحالة اليوم ...

وهكذا ستبقى الحالة غدا ...

لغة واحدة يفهمها الغرب ولا يفهم غيرها ، وان كان يدعي غير ذلك ... انه يكذب !

« ان واجبنا ان نمنع الغرب من الانتحار وان نمنعه من ان يسوقنا معه نحو الهاوية »



فلننقذ الغرب.. من شر نفسه

بقلم الأستاذ محمد شفيق غربال

في سنة ١٩٤٩ ، أذاع فريق من قادة الفكر البريطانيين ما يقرب من عشرين حديثا كان موضوعها الفكرة التى تمثلها الحضارة الغربية ـ أو الغرب ـ فى تاريخ الانسانية ، وقد أكد كل من المتحدثين الشيء الاساسى الذى يرى أن الغرب قد اختص بتحقيقه للانسانية .. فمن قائل أن ذلك الشيء كان العلم أو النظر العلمى فى كنه العالم . ومن قائل آخر ان رسالة الغرب كانت رسالة الحرية أو سيادة القانون أو تغليب حقوق الفرد على ماتحاوله الجماعة من سلبها أو نقصها أو ضياعها

وقد بحث من المذيعين باحثون فى نظرية الكاثوليكية فى الدولة أوفيما جاولت تسجيله المذاهب البروتستنتية من تقريرات لها خطرها فى هذا الشأن . كما شرح منهم رجال رأيهم فى علاقة الشيوعية بالتراث الفكرى الغربى أومقام جامعة الامم البريطانية فى المجتمع الغربى .. الى آخره . وقد جمعت الاحاديث بعد اذاعتها فى كتاب صغير لطيف أراه جديرا بعناية قراء الهلال ..

قرأت الاحاديث كلها ووقفت هنيهة عند ثلاثة منها .. وقفت عند الحديث الاول وكان لرجل من رجال الدين ، والرجل يسود حديثه مس من التشاؤم .. هاله اتجاه الغرب نحو عبادة التكنولوجيا دون الله ، كما هاله أن تلك التكنولوجيا هى « هدية » الغرب الى البشرية ، ورأى فى ذلك مصدر البلاء للغرب وللبشرية معا . كما وقفت عند حديث مؤرخ شاب يرى فى أحداث التاريخ الاوربى الكفاح المتصل الحلقات بين الحرية والطغيان ، وان قضية الحرية كانت قضية بائرة فى أدوار ذلك الكفاح

وأخيرا وقفت عند الحديث الختامى وهو حديث للمؤرخ توينبى المشهور . وقد أشار اشارة لطيفة الى أن الحكم على رسالة الغرب فى التاريخ ينبغى ان يكون لغير الغربيين من بنى الانسان . وأقرب الظن عنده أن هذا هو الذى سيحدث فعلا فى المستقبل القريب أو البعيد . ثم انتقل من

ذلك لبيان أن الغرب لم تتحقق له رسالة بعد ، بل ان النصرانية هى صاحبة الرسالة وللغرب الخيار فى أن ينهض بابلاغها أو فى المضى فيما هو فيه من عبادة العلم أو القوة أو أى آلهة أخرى من صنع يديه

ولم أر بأسا فى أن أسمع من الغربيين حديثهم عن أنفسهم ، وان كنت قد أستغربت منهم انلم يتكلم واحد منهم فى الاشادة بالفكرة التى تسلطت على عقولهم من نحو قرن ونصف من الزمان٠٠الا وهى الايقان بأن حضارة الغرب هى خاتمة الحضارات بلخاتمة التاريخالانسانى

ويصحب ذلك الايقان شىء آخر مناقض له لحد ما ، الا وهو أن تلك الحضارة مع جمالها وكمالها لا يصلح لها الا رجل الغرب ٠ ولا تصلح حقا الا للغرب حيث نبتت وترعرعت ٠ ومن الغرور ـ غرور السذج أو الاطفال ـ أن يزعم الرجل فى آسيا أو فى افريقا انه يستطيع أن يتحضر حقا بحضارة ابن الغرب٠ وان أقصى مايبلغه الاسيوى أو الافريقى هوأن يملك القشور لااللب،فلا بد اذن من أن يحول الغربيون دون أنتستهويه تلك القشور فتودى به

هـذا ما نقرأه فى قرارة النفس الغربية ٠ نعبرعنه فى كلمة موجزة هى ان الغرب قد اتخذ من تفوقه أداة للتصرف فى هذا العالم٠فوضع نفسه موضع المسيطر على أممه ، المقرر لما فيه خيرها ولما فيه شرها ٠ وهو أقدر علىالتمييز بين الخير والشر من أصحاب الشأن أنفسهم

وللحضارة الغربية مآثر رائعة حقا ٠ ولكن ما ثمنها ؟ يقضى الطب على الامراض ويطيل عمر الانسان ، وتنشر المطبعة والاذاعة والصحافة روائع الفكر والفن ، وتشيد للعلم وللصناعة ورفاهية الانسان صروح ٠٠الخ ، وبين غمضة عين وانتباهتها تصبح هذه المآثر أثرا بعد عين ٠ ان الحروب المدمرة هى ثمن الغرب٠وأى ثمن !

ولنكرر القول انللحضارةالغربية مآثر رائعة حقا ، ولكن ماثمنها؟ثمنها مسجل فىصفحات سود مسطرة فى كتاب الاستعمار ٠ ولنذكر القارات الامريكيات الثلاث ، الشمالية والوسطى والجنوبية،ولنذكرالجماعات البشرية التى كانت تستوطنها قبل قدوم المغامرين الاوربيين وما بلغته تلك الجماعات من الارتقاء والتحضر وما كان لها من فنون وصناعات وشرائع ٠ ولنذكر فوق ذلك أن هذه الجماعات كان لها حق الحياة وحق البقاء فى أوطانها ٠ وان الانسانية كان من حقها أن تبقى لها تلك الجماعات تفيد من نتاج فكرها وثمرات عقولها ٠ فماذا حدث ؟٠٠ لقد أباد المستعمرون القوم فلا ترى اليوم منآثارهم الا ماتضمه المتاحف أو تلك الشراذم من الهنود الحمر (كما يعرفون) يحتفظون بها كما يحتفظون بسلالات الحيوان حذرا من

انقراضها التام . ومثل هذا حدث في الجزائر الاسترالية . والعجيب في أمر تلك الجزائر الاسترالية وفي كندا انه قد تقرر أن يحتفظ بها أرضا « بيضاء » أى لا يباح لغير الابيض استيطانها . ومع خلو تلك البلاد نسبيا من السكان ومع استعدادها التام لتلقى الأفواج العديدة من المهاجرين الاوربيين فان هؤلاء آثروا أن يستوطنوا المرتفعات الخصبة من بلاد كينيا الافريقية على ضيق كينيا بالافريقيين ، ونشهد اليوم كفاح هؤلاء من أجل المعاش ! والحديث عن الافريقيين يذكرنا بالملايين منهم الذين اختطفوا من أوطانهم وسيقوا للرق والعمل في مزارع القطن والقصب والتبغ في المستعمرات الاوربية . والثابت أن عدد من أهلكه المرض والاكتظاظ في السفن التى نقلتهم عبر البحار فاق أضعافا مضاعفة من كتبت له السلامة .

ولا أدرى أى الفريقين كان أسعد حظا من الآخر . ولا يزال ذرارى أولئك العبيد يعانون من صنوف المذلة والهوان ما لا يحتاج الى وصف فأمره مشهور ، ويقاسمهم الشقاء اخوانهم في افريقيه الجنوبية

وينبغي ألا ننسى كيف تسوق الدول الاوربية الاسيويين والافريقيين لخوض حروب لاناقة لهم فيها ولاجمل . وحديث الجنود من أبناء الهند في حربين عالميتين وفي حروب عديدة نذكره جميعا ، كما نذكر اخواننا المغاربة في ميادين القتال الاوربية وغير الاوربية . وكيف يجوز لنا أن ننسى فعال المسخرين من الجنود السود في معارك الحرية في الشام أو المغرب ؟

ولقد يقول قائل من أبناء الغرب: وبعد ، أليس لكم أيضا معشر الشرقيين ماض في الفتح والتغلب؟ ألم تكن لكم مساهمة في تجارة الرقيق ؟ والجواب على هذا بسيط . ان ذلك « الماضى » المشار اليه لم تصحبه عموما خطط « ابادة » منظمة لاصحاب البلاد بل صحبه عادة امتزاج واختلاط . وان الرق عند المسلمين كان يصل بالعبد الى أن يكون من أسرة مالكه وكثيرا ما وصل به الى المناصب الامارة بل والملك والسلطنة

هذا عن الماضى .. ولب الكلام يجب أن يكون في الحاضر وفي المستقبل

ان علينا ـ نحن بنى الانسان من غير الغربيين ـ لواجبا نحو أنفسنا ونحو الغرب ونحو الانسانية جمعاء: هو أن نمنع الغرب من الانتحار وأن نمنعه من أن يسوقنا معه نحو الهاوية

وكيف السبيل ؟ السبيل هى أن نمنعه من أن يتخذ من أوطاننا ومن مواردنا ومن أبداننا ومن عقولنا الاداة التى اتخذها في الماضى للسيطرة على العالم أو لسيطرة بعضه على البعض الآخر ولشن حروب الافناء

واجب الشرق اليوم أن ينقذ الغرب من شر نفسه



كيوبيد ... غزا الشرق قبل الغرب

المرأة كانت عند الغربيين بابا للجحيم

بقلم الدكتور أحمد الحوفى

أستاذ بكلية دار العلوم

لقد حمل كيوبيد كنانته الفضية ملأى بسهامه الذهبية ، ليرمى بها القلوب المتيمة الشاعرة ، لكنه قضى قرونا بعد قرون مغلقا كنانته ، مدخرا سهامه ، لأنه لم يجد فى الغرب ـ الى عهد قريب ـ قلوبا جديرة بسهامه . فاتجه صوب الشرق ، فاذا بكنانته الملأى تنفد ، واذا هو يملؤها مرات ومرات ، حتى كاد ينفجر من كثرة ما ملأ ومن كثرة ما رمى. نعم فقد ذاق الشرق سعادة الحب وآلامه قبل أن يذوقها الغرب ، وتغزل الشرقيون قبل أن يعرف الغربيون الغزل

تغزل الشرقيون ليعبروا عن عاطفة حبهم للمرأة وعن اعجابهم بجمالها ، وفتنتهم بسحرها ، وتغزلوا لأنهم لم يستطيعوا أن يكتموا ما يشتعل بقلوبهم . وكيف يكتمونه وهم مدفوعون بميلهم الفنى الى التعبير عما يجدون ؟

وماذا يملك الشاعر للتعبير عن

> **بلاد الشرق العربى بيئة موالية للحب أما الغرب فقد اختنق كيوبيد فيه حين كانت المرأة هابطة المكانة تعير عند الغربيين بأنها أنثى ، وكانوا يعتقدون أن جسمها من صنع الشيطان**

عاطفته غير شعره الملتهب يصور به نفسيته ، كما يصور الرسام عاطفته بدهانه وألوانه ، وكما يترجم الموسيقى عن مشاعره بأنغامه وألحانه ، ومثلما يبرز النحات خياله بازميله وصوانه ؟

وقد كان العرب أمة شاعرة ، وشعرهم هو الفن الجميل الذى صوروا به عواطفهم ، وكان غزلهم فى الصدارة من شعرهم كله ، لأنه اتسم بالصدق الشعورى والصدق التعبيرى فى أعم حالاته وأكثرها

وكانت بلاد العرب بيئة موالية للحب ، لأن العربى حساس يأسره الجمال عامة وجمال المرأة خاصة ،

لأنه الجمال الحي الواعي الذي لاينضب معين الاعجاب به ، فهو اغلى أفانين الجمال وأسحرها للرجل . ثم ان المراة العربية كانت ذات مكانة عالية منذ الجاهلية ، فطالما تقرب الرجال اليها وخطبوا ودها ، وأشادوا بأثرها فى نفوسهم ، وطالما شجعوا وكرموا ارضاء لها ، وكثيرا ما اشهدوها على بلائهم ومفاخرهم ، لأنها فى نظرهم مساوية لهم فى القدر ، يدل على ذلك عجب جشامة بن عقيل الشاعر الجاهلي من أن يعذرهم فى الحب من كانوا يلومونهم على حين ان الحبيبات لا يعذرنهم ، وهن شقائق لهم :

أيعذر لاحينا ، ويلحين فى الصبا

وما هن والفتيان الا شقائق ؟

وفى أمثالهم القديمة أن النساء شقائق الأقوام

واذا عرفنا أن الشقائق هي كل ما يشق اثنين ادركنا أن المراة فى نظرهم مساوية للرجل

وما من شك فى أن هذه المكانة العالية من بواعث حب الرجل للمرأة ، لأن الحب عاطفة يمازجها الاعجاب والتقدير والاحترام ، والمرأة المهينة ليست جديرة بأن تحب ولا أن يتقرب اليها الرجال . ولذلك يقول العلامة مكدوجل : « ان تقدير المراة واكبارها أساس للحب » . ويقول استاندال : «منبع الحب الصادق ربوع البدو وخيامهم ... ولا سبيل الى هذا الحب الا بأن يشعر الرجل أن المراة المحبوبة تساويه فى المكانة ، وهذا الضرب من المساواة مفقود فى بلادنا الغربية »

ولسنا نبعد عن الصواب اذ نستنبط من حب العرب للمراة وغزلهم فيها انهم لم يكونوا فى جاهليتهم همجا ، وانهم كانوا بعد الجاهلية شعبا متحضرا راقيا ، لأن الباحثين فى لغات الأمم البدائية يقررون ان لغاتها خالية من كلمة الحب ، ولأن الهمج هم الذين كانوا يستحوذون على المراة باختطافها ، أما المتحضرون فانهم يستميلونها بأعمالهم وأقوالهم وحبهم

□

أما فى الغرب فقد اخفق كيوبيد اول الامر ، لأن المراة الغربية كانت هابطة المكانة ، حتى لقد كانت تعير بأنها انثى . وكانت النساء فى نظر الغربيين بابا للجحيم ، فزعم بعضهم ان أجسامهن من صنع الشيطان . واجتمع علية من رجال روما فى القرن السابع عشر وتناقشوا طويلا : هل للمراة روح أو انها لا روح لها . وظل القانون الانجليزى الى القرن التاسع عشر لا يعد المراة من المواطنين ، ولا يعترف لها بحقوق ؛ واعتقد الغربيون فى ذلك الجو القاتم ان التفكير فى المراة خطر ، وأن طلعتها نحس ، وأن الشيطان طالما زار النساك فى شكل أنثى . وقد نشأعن هذه النظرة ان كثرت الرهبنة

والزهادة وبناء الاديار

فلا عجب فى ان يذهب برنتيير Brunetier الى ان المراة الاوربيةهوت الى حضيض لم ينزل اليه غيرها ، فى قوله : « لم يحدث ان امراة فى اى زمان او مكان كانت تحني راسها ، وتخضع لقوة الرجل وبطشه اكثر مما كانت تفعل المراة من نساء الطبقة الوسطى فى العصورالوسطى»

ولا شك أن هذه النظرة لا تلائم الحب ، لانه قائم على عدة انفعالات هى الحنو والجنس والاحترام والعطف والشعور بالمساواة والسعادةبالقرب والألم من البعد

ثم بدا المجال ينفسح امام كوبيد بعد القرن الثانى عشر فقدرالغربيون المراة ، ونشأت بينهم فكرة جديدة هى انالنساء هن الموحيات بالاعمال العظام التى يقوم بها الرجال ، فالفرسان تسابقوا الى المعارك مدفوعين بحب النساء ، والنساء جلسن يطرزن الثياب متلهفات على عودة احبابهن ، وكانت نظرة من عينى امراة جميلة اعظم جزاء على ما احتمله الفارس من مخاطر وعناء. ومن هنا حفلت قصص العصور الوسطى واشعارها بتقدير المراة . .

فمن اين جاء هذا التقدير ؟

ذهبت مسز راى استراتشى الى أن هذا التقدير جاء من حياة المراة فى الاديار ، ومن تقديس الناس للعذراء السيدة مريم ، لان تقديسها رفع من شان الام والامومة ، لكن هذا التعليل تعوزه الدقة ، لان المراة الغربية ظلت قرونا عدة وهى مغبونة القيمة مبخوسة القدر هابطة المكانة ، فلو ان الأديار كانت الباعث على رفع شأنها ولو أن تقديس العذراء هو الذى بدل ضعفها عزة ، لتحقق ذلك بعد المسيحية بقرن او بضعة قرون .

وانما نشأ هذا التقدير باعتراف مسز راى استراتشي بعدالحروب الصليبية فلماذا تأخر الى ذلك العهد لو انه كان وليد المسيحية او تقدير السيدة مريم ؟ الحق انه كان ثمرة للفروسية الغربية ، والفروسية الغربية كانت صدى للفروسية العربية بشهادة كثير من الباحثين الغربيين . يقول العلامة نيكلسون : « من الممكن تتبع فروسية العصور الوسطى وارجاعها الى بلاد العرب الجاهلية ، لأن شهامة الفرسان ومغامراتهم وانقاذ العذارى من السبى ، والمساعدة التى كانت تقدم فى كل مكان للنساء المحتاجات الى مساعدة ، كل هذه صفات عربية ، وقد اطلق عليها فى اوربا كلمة نبل او بطولة chivalry ، والصلة وثيقة بين هذه الاعمال المجيدة وبين الفارس ذلك البطل النبيل الشريف chivalrous »

لذلك اقترن الشعر بالفروسية فى اوربا كما اقترن عند العرب ، بل انه اصبح شرطا من شروطها ، وصار لزاما على الفرسان ان يقرضوه كبارا وصغارا ، ومن لم يستطع

ان يقرضه ليتغنى بحبه ويفصح عن لواعج قلبه انشد شعر غيره

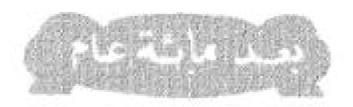
ولقد خالط الغربيون العرب واحتكوا بالمسلمين زمنا طويلا بالشام ، وعايشوهم ازمانا طوالا فى اسبانيا وصقلية ، وكان العرب فى اسبانيا وصقلية كالعرب فى الشام يتسمون بالفروسية المثالية ويقدرون المراة . وفى تاريخ العرب باسبانيا مايثبت أنه حافل بخصال الفروسية وتقدير النساء ، بل ان ترند Trend يرى أن النساء تمتعن فى ظلال الامويين بالاندلس بنصيب من الحرية وحظ من التقدير اعظم من حظهن فى عهد العباسيين ببغداد

وحسبنا أن نستشهد بما قاله بعض الغربيين لاثبات ان الغربيين أحبوا وتغزلوا بعد ان تتلمذوا على العرب . يقول سانت هيلير : اما الفرسان فقد تعلموا المشاعر الرقيقة واجمل الفضائل الانسانية من العرب . ومن المشكوك فيه أن المسيحية وحدها – على عظمتها – كانت تستطيع ان تلهمهم هذه الاخلاق

ويذهب المستشرق « جب » الى أن الشعر البروفانسي حافل بعشق غنى بالصور الجميلة ،والى ان هذا الضرب من الحب او التقديس للمراة لم يكن نتيجة لتقاليد العصور الوسطى ، ولم يكن صدى للادب اليونانى او اللاتينى ، وانما قام على تقاليد ادبية راسخة صادرة من شعر العرب فى اسبانيا ، لان الادب العربى فى كل عصوره يستمد من ينبوع حب الرجل للمراة ، وانه لدليل على صدق ذلك أن فى شعر التروبادور – منذ القرن الحادى عشر والثانى عشر – اناشيد كلها غزل ، ومتسمة بطابع الغزل العربى ، ففيها تصوير لحب عذرى مبرح ، وشوق الى حبيبة بعيدة المنال ، ووفاء مدى الحياة، وفيها تقرب الى المراة باعمال البطولة والمجد . ويعزز ذلك أن بعض القصص الغرامية التى ظهرت فى ذلك العهد مقتبسة من قصص عربية ومن أخبار العشاق مثل عروة بن حزام وعفراء ، وقيس بن الملوح وليلى ، وقيس بن ذريح ولبنى



كيوبيد .. للفنان فالكونيه
لوحة محفوظة بمتحف اللوفر



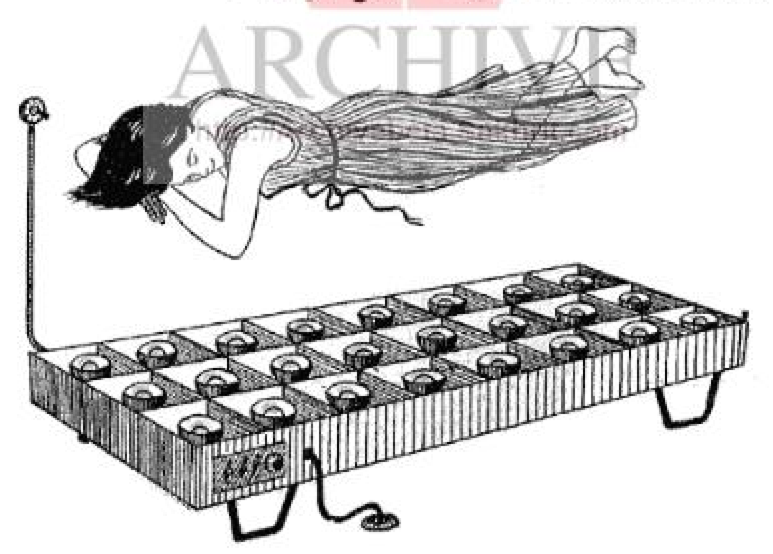
هل يبصر الأعمى ؟

علماء الغرب يتنبأون باختراعات عجيبة

طلبت احدى المجلات العلمية الى بعض كبار الباحثين ورجال العلم أن يوافوها ببيان عن الاختراعات التى يتوقعون أن تتم خلال المائة عام القادمة . وهذه هى الاختراعات التى تكهنوا بها مع الرسوم الموضحة لاهمها

جهاز صغير للاكسيجين يدور بالطاقة الذرية ، يمكن المرء من البقاء تحت الماء أى وقت يشاء · وبذلك يمكن انشاء فنادق فى قاع المحيطات، لقضاء الاجازات، بعيدا عن الضوضاء

أجهزة لتسجيل الاصوات والصور يمكن ارسال أشرطتها بالبريد ، فيستطيع المرسل اليه أن يسمع الرسالة ويرى صورة المرسل وهو يملى الرسالة !



فراش يدفء النائم فوقه بحيث يستغنى عن الغطاء. ويمكن أن يدفء القدمين وحدهما أو الرأس وحده !

راديو يلتقط أصوات الماضي يمكنك أن تضبطه لسماع الأحاديث أو الخطب التي ألقيت في أي عصر من العصور التاريخية الماضية !



تليفزيون يثبت في اليد يمكن أن يضغط على زر فيه ، فترى ما يدور في البيت

▭

أجهزة تطبع الافلام الفوتوغرافية الملونة على الحوائط بعد تكبيرها ويمكن ازالة هذه الصور واحلال غيرها مكانها !

▭

معاطف خفيفة الوزن مضادة للماء وبها أجهزة صغيرة ترفع درجة حرارتها أو تخفضها تبعا لتغير درجة حرارة الجو



مسجل للاحلام ، يديره النائم ، فيرى أمامه الصور التي مرت أمامه في احلامه

▭

أجهزة صغيرة للاجابة عن الأسئلة يمكن أن يلقي على الجهاز أي سؤال فينقله الى مكتب مركزي للمعلومات العامة .. فتسمع الاجابة عنه بعد لحظات !

▭

مواد كيميائية تساعد على اعادة نمو الأعضاء المفقودة ولن تقف هذه المساعدة عند حد اعادة الاصابع وأجزائها ، بل تتعداها الى نمو اليدين والقدمين والذراعين والساقين!



مواد كيميائية لإزالة شعر الذقن ، وبذلك لاتعود هناك حاجة لشفرات الحلاقة !

▭

أجهزة لصيد الحيوان والطير باشعاعات ، يمكن للصياد أن

يستعيض بها عن البندقية ، بل هي تمتاز بأن الحيوان أو الطائر الذى يصاب باشعاعاتها سرعان ما تشل حركته ، فيمسكه الصياد باليد فى سهولة !

▭

مواد للبناء ورصف الطرق يجرى استعمالها على أساس اختزانها للضوء بالنهار ،واطلاقها اياه بالليل!

جهاز لاخذ حمامات سريعة فى بضع ثوان من الموجات الصوتية التى لاتسمع ، لانعاش الجسم المتعب وستكون ذات فائدة كبيرة لربات البيوت ورجال الاعمال وغيرهم !

نظارات يرى بها المكفوفون وذلك من طريق أجهزة متصلة بها ، تنقل صور المرئيات الى الذهن مباشرة . ويمكن استعمال هـذه النظارات للرؤية أيضا فى الظلام !

▭

أجهـزة للرؤية تحت المـاء وذلك بتحويل مجال الارض المغناطيسى الى اشعاعات ضوئية تمكن رؤيتهـا . وبهذه الطريقة نفسها تسهل الرؤية داخل المناجم والأقبيـة المظلمـة وما اليها !

▭

مترجم آلى يمكن المرء من التحدث الى أى شخص لايعرف لغته ، اذ هو يترجم ما يقوله هـذا الشخص الى اللغة المطلوبة فور القائه !

▭

مصور للأفكار يحول الأفكار الى صور مرئية تلقى على شاشة . وسيكون لهـذا الجهاز فائدة كبيرة للمحللين النفسانيين والمحققين !

▭

أجهزة تبطل الجاذبيـة الارضـيـة بحيث يسهل رفع الأجسام الثقيلة أو تعليقها أو نقلها ، وان جاوز وزنها آلاف الأطنان !

▭

أجهزة الكترونية يستعملها الأطباء لتحديد موضع الألم فى جسم المريض



انابيب وعدادات لنقل جميع المشروبات من اماكن بيعها الى المنازل — مثل الماء — فيكفى الضغط على زر خاص للحصول على كوب منها . ويقوم العداد بتحديد الكمية المستهلكة

أو المصاب بالدقة اللازمة للعلاج أو اجراء الجراحة !

□

تليفـــزيون للجيب يمـــكن الآباء والأمهات من رؤية مايدور فى بيوتهم أثناء وجودهم خارج البيت

□

خرائط متحركة تثبت أمام سائق السيارة، فتبين له الموضع الذى بلغه بسيارته !

□

اشعة فيتامينية يتعرض لها المرء فيستخلص منها حاجته اليومية من الفيتامينات، كما تنظم وزنه بواسطة التعجيل بتمثيل الطعام أو الابطاء فى تمثيله !

□

« جراج » يضغط المرء على زر فى بابه بعد ادخال السيارة به ، فيندفع الماء الى كل جوانبهـا لتنظيفها فى لحظات !

□

محطـة للتحكم فى الجـو يمكن أن تمنع الفيضـانات وموجات الحر أو الصقيع القاتلة !

□

دور سـينما لاستار لهـا ، تبدو المناظر فى وسطها مجسمه

الامبراطور الحائر

بين الشرق والغرب

تعتبر الهند الصينية والمانيا الآن فى مقدمة مناطق الخطر ، ذات الاهمية الكبيرة فى الصراع القائم بين المعسكرين الشرقى والغربى . وعلى قدر ميل احداهما أو كلتيهما الى هذا المعسكر او ذاك ، يمكن تقدير مدى تفوقه على الآخر ، كما يمكن تبعا لذلك تقرير مصير الحرب الباردة الناشبة بينهما ، وهل تنتهى باستقرار السلام فى العالم ، أو بذهابه طعمة لنيران حرب جديدة لم يشهد لها مثيلا فى تاريخه الطويل ، وعلى هذا الاساس يترقب العالم كله ما سوف يسفر عنه الاستفتاء الخطير الذى تقرر اجراؤه فى الربيع القادم بالهند الصينية ، لاختيار نظام يعيد اليها وحدتها ، ويضع حدا لانقسام أهلها الى معسكرين متعادين : احدهما شيوعى فى الشمال ، ويحكمه « هو - تشى - منه » الذى يرأس ثانى جيش فى آسيا من حيث القوة والعدد ، وتمكن به من دحر القوات الفرنسية المحتلة وطردها من الهند الصينية بعد حرب كانت اعنف من الحرب الكورية الاخيرة . والمعسكر الآخر فى الجنوب ، وكان يحكمه الامبراطور « باو - داى » الذى يقيم الآن فى الريفيرا الفرنسية . وقد هرب اليها قبل ان تنتهى الحرب فى بلاده منذ نحو عام

الامبراطور باو داى

وفيما يلى قصة هذا الامبراطور ، وهى تكشف الستار عن كثير من مساوىء الاستعمار

▭

جلس الصبى الصغير ساكنا هادئا

فى احد ابهاء منزل كبير فى باريس ، بينما أخذ أبوه الامبراطور السابق يحدث أحد المربين الفرنسيين ، ويدلى اليه برغباته فيما يختص بمستقبل الصبي ومستقبل بلاده ، ثم قال له: « لا بأس بأن تجعل من ابنى هذا رجلا عصريا ، ولكنى لا اريد ان يكون رجلا غربيا . انه سوف يحكم شعبا شرقيا له تاريخ مجيد ، فيجب ان يكون وفيا مخلصا لهذا التاريخ ، حتى يكون حكمه « قنطرة » تصل الماضي بالمستقبل ، وتربط بين الشرق والغرب »

واجاب الرجل الفرنسي فى صوت خافت هادىء : « سوف احقق رغبتك ، وانني آمل ان يشب ابنك محبا لبلادنا وان يتشبع بوسائلنا ، فتتاح له بذلك الفرصة لكى يزداد تفانيا فى خدمة بلاده . سوف تفتح ذهنه للتقدم والتطور دون أن تغلقه فى وجه التقاليد . وعلى هذا سيقرأ تعاليم كونفوشيوس ، وفى الوقت نفسه يقرأ تعاليم ديكارت ! »

ونهض الامبراطور من مكانه واقترب من الصبى الذى لم يكن قد جاوز التاسعة من عمره ، وربت ظهره وهو يقول له : « لقد عهدت الى المسيو « يوجين شارل » ــ الحاكم العام السابق لبلادنا ــ ان يشرف على تربيتك . فاحترمه واحببه كوالدك »

وبعد ثلاثة اعوام ، مات الامبراطور الوالد « خاى ــ دن » . وغادر الامير الصغير باريس ، عائدا الى الهند الصينية . وهناك فى القصر الامبراطورى ، ألبسه رجال الحاشية رداء فضفاضا من الحرير المطرز ، ووضعوا على رأسه الصغير عمامة كبيرة صفراء ، ثم حملوه الى حيث أجلسوه على عرش اجداده . ونودي به امبراطورا أمام مجلس العائلة وكبار ممثلى الدولة واعطى اسم « باو ــ داى » أى « حارس العظمة »

وكان ذلك فى سنة ١٩٢٥ . واليوم ــ أى بعد ثلاثين عاما ــ يعد « باو ــ داى » ــ أو حارس العظمة ــ رمز الانقسام لا رمز الوحدة والارتباط . وقد تمزقت بلاده ودمرتها الحرب الاهلية ، والحرب الباردة وسط الصراع القائم بين الشرق والغرب . واصبح هو نفسه كريشة فى مهب الريح تلعب بها وتوجهها أنى تشاء !

لقد حالف الفرنسيين ، ثم اليابانيين ثم الامريكيين ، ثم الشيوعيين ، ثم الثوار الوطنيين . وقد غير القابه عدة مرات حتى اصبح اكثر الشخصيات غموضا فى التاريخ الحديث . وهو يحكم بلاده اليوم من بعيد . فما الذى حفزه الى عدم الوفاء بالتزاماته نحو بلاده ، وشعبه وحلفائه ؟ وما قصته الحقيقية ؟

ان هذه القصة قد بدأت عقب انتهاء حفلات تتويجه ، فقد انتظر الامبراطور الصبى حتى غادر المدعوون القصر ، ثم دعا يوجين شارل ، المشرف على تربيته ، وقال له : « خذنى معك الى باريس » . . لقد غدت باريس « وطنه » خلال السنوات الثلاث التى عاشها هناك اقبل وفاة والده ، فهناك تمت اتصالاته الاولى بأعز أصدقائه !

وانتقل الامبراطور الصغير الى العاصمة الفرنسية ، لكي يتم دراساته ويغدو « رجلا عصريا » كما شاء أبوه . وتقرر الا يعود « باو ـ داي » الى بلاده حتى يجاوز الثامنة عشرة

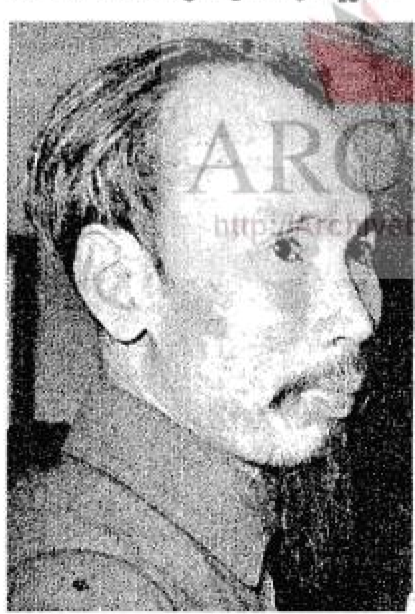
وكانت السنوات السبع التي قضاها في باريس اسعد ايامه . كان يقضي في المدرسة ساعة أو ساعتين في الصباح ، ويقضي بعد الظهر مع مرب صيني . اما اوقات فراغه الكبيرة فكان يقضيها في الرياضة ، وفي ممارسة هوايته المفضلة وهي قيادة السيارات .. وقد حدثني عن شعوره عند عودته الى بلاده ، قال :

ـ لا تستطيع ان تتصور كيف كانت حياتي في القصر . انك قد تتصور انني كنت حاكما مطلقا ، استطيع أن افعل ما أشاء . ولكن هذا ليس صحيحا على الاطلاق . بل لعل عكسه هو الصحيح ، فقد كنت عبدا لاتباعي ! . الحكام الحقيقيون للقصر هم رجال الادارة ، ولا سيما رجال « هيئة المراقبين » فهم الذين يصدرون جميع المراسيم والقوانين . ولهم من السلطة المطلقة ما يخولهم حق ابعادي عن العرش !. ان مهمتهم الرسمية الاولى كانت تتلخص في تلقيني كيف اختار ملابسي ، وكيف يكون سلوكي ، واكثر من هذا انهم ـ لا انا ـ هم الذين يختارون لي من اتزوجها !

« كنت املك ، ولا احكم . وكانت امنية ابي ان اخرج بلادي من أجواء القرون الوسطى التي كانت تعيش فيها الى أجواء القرن العشرين . وكان يرجو ان تكسبني دراستي للحياة في الغرب قوة وحكمة استطيع بهما ارغام الفرنسيين على انهاء أساليبهم الاستعمارية ، ومعاونتنا على أن نظفر بالاستقلال ونغدو شعبا عصريا مستقلا . ولكن ذلك لم يتحقق ! »

وابتسم الامبراطور في مرارة ، ثم واصل حديثه فقال :

ـ لقد كان الموظفون الفرنسيون في بلادنا مؤدبين ، ولكنهم لم يكونوا الرفاق الذين عرفتهم في باريس ، او الذين يمكن ان يوثق بهم . وكانوا يظهرون الامتعاض اذا حدثتهم عن خططي لاصلاح ادارتهم الاستعمارية ويصمون آذانهم اذا تكلمت عن الحرية والمساواة والاخاء . لقد



هو شي منه .. الزعيم الشيوعي

تبينت ان « الحماية » الفرنسية على بلادنا لم تكن سوى قناع لحكم فرنسي مطلق . وقد ارادوا أن أمثل دور الدمية ، وان يمسكوا بالخيوط التي تحرك هذه الدمية ! »

ولم يكن ثمة منقذ له من هذا الجو الخانق - على حد قوله - سوى الخروج الى الغابات للصيد ومعه لفيف من رعاياه المحبوبين . وهكذا تأصلت في نفسه عادة الابتعاد من المجتمعات والهرب الى عالمه الخاص ، كما تمكنت من نفسه تدريجا عقيدة الاستسلام للمقادير ، وتركها توجه حياته

على انه كان يستطيع دائما ان يقضي عطلته في باريس ، أو بلدة « كان » . ولم يكن يجد مبررا لاستعجال العودة الى بلاده ، واخذ يشتري عقارات في الخارج، فاشترى قصرا في « كان » و « شاليه » في سويسرا و « فيلا » في مراكش ، ومنزلا في احدى ضواحي باريس

ولما كانت التقاليد تقضي بان يختار له « مجلس الوزراء » زوجته ، لم يجد بدا من الرضوخ لهذا الحكم . وقال لنفسه : « لقد كان لجدي ١٢٠ زوجة ومحظية ، فاذا لم تعجبني الزوجة الاولى التي يختارونها لي ، فمن حقي ان اجعلهم يختارون لي زوجة ثانية وثالثة ورابعة حتى اجد الزوجة التي ترضيني ! » . واتفق ان عرضت عليه فتاة من الجنوب كانت قد امضت فترة من الوقت في فرنسا ، فاختارها زوجة له ، ولقبت باسم الاسرة « نام فونج » أي « رائحة الجنوب »

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية، وارسلت اليابان جيوشها الى الهند الصينية سنة ١٩٤٥ ، وجد « باو - داي » نفسه عاجزا عن المقاومة . ولم يستطع ان يهرب ، فقرر ان يبقى في بلاده وان يستسلم للقوات المحتلة . فلما استولت اليابان في مارس من تلك السنة على جميع اراضي الهند الصينية واعلنت « استقلالها » شكر المسئولين اليابانيين ، وارسل الى الجنرال «دي جول » يخبره ان الهند الصينية قد نبذت النير الفرنسي !

ولم يمض وقت طويل حتى افل نجم اليابان ، واخذت تظهر فرق سرية للمقاومة ، اختارت لقيادتها « هو - شي - منه » واطلقت على نفسها اسم « اللجنة الوطنية للتحرير » واتخذت لنفسها مقرا في مدينة « هانوي » في الشمال . ولما شعر الامبراطور « باو - داي» بقوة هذه الهيئة ، ارسل الى زعيمها رسولا ومعه مذكرة يؤكد فيها انه مستعد لان يتنازل عن العرش ،وان ينضم الى الثوار !

وبعد بضعة أيام - في ٦ اغسطس ١٩٤٥ - سلم الامبراطور ، لاول مرة في تاريخ الهند الصينية منذ الفي سنة ، سيفه المطعم بالياقوت وخاتمه الذهبي لاحد رعاياه ، وتنازل عن مركزه السلطاني . ووقف وهو يرتدي - لآخر مرة - زيه الرسمي في ساحة القصر امام جمهور غفير من المواطنين يطالب جميع الطبقات وافراد العائلة المالكة بأن يؤيدوا ويناصروا بغير تحفظ جمهورية



الامبراطور باو داى وزوجته فى اثناء اقامتهما بباريس

« فيتنام » الديمقراطية حتى تعمل على دعم وحدة البلاد واستقلالها !

واستبدل الامبراطور باسمه الملكي اسمه الاصلى « فين ـ توى » واخذ الناس يهتفون له وهم يحملون علم «الجمهورية الديمقراطية» الجديد المخطط باللونين الاحمر والاصفر .

وعينه « هو ـ شى ـ منه » زعيم الثورة الشيوعى فى الشمال « مستشارا سياسيا » للجنة التحرير . ولكن الشيوعيين لم يكونوا فى حاجة اليه الا لفترة قصيرة حتى تثبت اقدامهم . فلما اعترفت فرنسا فى مارس سنة ١٩٤٦ بجمهورية « فيتنام » ضمن الاتحاد الفرنسى ، عرض عليه زعيم الثورة ان يوفده الى « تشونكنج » لكى يمهد لمعاهدة صداقة مع الصين

وكانت هذه هى اللحظة التى يترقبها « باو ـ داى » ، فقد كان يتحين فرصة للهرب من الرقابة الشديدة المفروضة عليه . فذهب الى « تشونكنج » واتصل باللاجئين السياسيين فى حماية « تشيانج كاى شيك » واخبرهم بانه ارغم على التنازل عن العرش ، وانه لن يعود لبلاده ، واختار ان يقيم فى « هونج كونج » !

وكان قد ترك زوجته واولاده الخمسة رهائن فى ايدى الشيوعيين ، فأخذ يفكر فى تدبير طريقة لفرارهم للحاق به فى « منفاه » الاختيارى على أنه لم يمض وقت طويل على اقامته فى « هونج كونج » باريس الشرق وبلد الرغد والمتع العديدة المنوعة ، حتى تزوج من راقصة صينية جميلة !

ولما نشبت الحرب بين « هو ـ شى ـ منه » زعيم الشيوعيين وبين القوات الفرنسية فى ديسمبر سنة

١٩٤٦ ، حاول الفرنسيون ان يستعينوا به ، بعد أن فتكت الحرب بكثيرين منهم ، ولكنه رفض أن يعود لبلاده مالم يكفل له الفرنسيون وحدة الولايات الجنوبية حتى يقتنع الوطنيون هناك بأنه لم تعد ثمة حاجة لمواصلة الحرب . وظلت المفاوضات دائرة بين الفرنسيين وبينه عامين حتى قبل ، وعاد الى بلاده وهو يأمل ان ينشىء حكومة ديمقراطية مستقلة ذات يوم بعد أن تنتهي الحرب ويسود السلام

ولكن السلام لم يسد ، وظلت الحرب عاما بعد آخر ، حتى هدمت « فيتنام » وافلست الفرنسيين . ولكن الشيوعيين افادوا من هذه الحرب ، فأخذت جيوشهم تتقوى تدريجا حتى اصبحت فى المرتبة الثانية من حيث القوة والعدد والتدريب بعد قوات الصين مباشرة ، وافادت من هذه الحرب فئة أخرى هي فئة المتجرين فى السوق السوداء والمهربين وعصابات قطاع الطرق . ويقال ان « باو ــ داى » ساهم فى نشاط هذه الفئات ، فجمع ثروة تقدر بنحو ٢٠ مليون جنيه

وقبل أن تنتهي الحرب فى بلاده ، هرب الى قصره فى الريفيرا ومعه زوجته واولاده . وقد اشترى باخرة جميلة كلفته نحو ٦٠ الف جنيه ، كما اشترى عشر سيارات

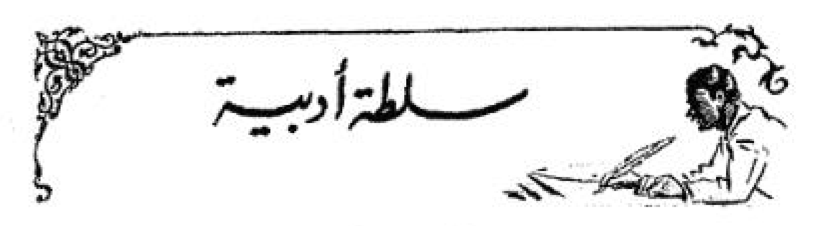
وقد لقيته هناك ، فسألته عن سر بقائه فى « الريفيرا » وعدم عودته الى بلاده ، فقال :

ــ لقد تركت بلادي فى ابريل الماضى لان مؤتمرا دوليا كان سيعقد فى « جنيف » ، فأردت ان اكون قريبا منه كي ابذل كل ما فى وسعى لامنع دول العالم الكبرى من أن تبيع بلادى . أن الناس يتهمونني بالفساد والخيانة لبلادى . ياللسخرية وقلب الحقائق ! ان الدول الكبرى هي المسئولة عما لحق بلادى من دمار . لقد سلكت هذه الدول معنا كما تعودت ان تسلك مع الدول الصغيرة .. تشعل نيران الخلافات والحروب فيها ، بينما تقف هي متفرجة . ان المسئول الاول عن المأساة التى حلت ببلادنا هم ساسة المستعمرين الفرنسيين الذين لم ينفذوا وعودهم بالاستقلال وراحوا ينفثون سمومهم فى كل مكان . ولم يسمحوا بأن يكون لى جيش حتى وقت متاخر ! »

وسألته : « لماذا لا تعتزل الحكم الآن ــ كما سبق ان فعلت ــ لصالح بلدك ؟ »

فأجاب : « لا مانع عندى من ذلك اذا كان فى ذلك صالح بلدى ، كما كانت الحال فى المرة الماضية . ولكننى لست واثقا من ذلك الآن ، وكم اتمنى ان تكون فى بلدى حكومة ديمقراطية وان يكون لها برلمان يمثل شعبى تمثيلا صحيحا . انكم تستطيعون ان تساعدوا بلادنا ، وان تقوموا بدور حيوى فى «فيتنام» لو صدقتم واخلصتم لمثلكم العليا . وانا احذركم من أساليب الاستعمار التى بدأتم تأخذون بها وتشجعون غيركم على المضى فيها ، فهذه الاساليب لم يبق لها سوق فى هذه الايام ! »

[عن مجلة « كوليرز »]



سفور من الغرب !

كان للقدوة الغربية أثر فى كشف النقاب عن وجه المرأة فى الشرق ، وربما حسب الباحثون ان ذلك يرجع الى زمن قريب ، هو زمن النهضة الحديثة ...

ولكن الواقع أن الشرق عرف سفور المرأة الغربية منذ عهد بعيد ، يربى على ثمانية قرون ...

وذلك حين وفدت نساء الافرنج على بعض الممالك الشرقية أيام الأيوبيين، فبينما كانت المرأة الشرقية لاترى الا متحجبة على محياها نقاب ، كانت المرأة الغربية تتراءى سافرة

يحكى لنا مؤرخو هذا العصر الخالى أن رجلا من أهل الصعيد رحل الى مدينة « عكا » ليبيع ما أنتجه فى مزرعته المصرية من الكتان ، فاستأجر هنالك حانوتا يبيعه فيه ، فكانت تمر به امرأة افرنجية سافرة ، فوقعت من قلبه ، واشتد بها شغفه ، ويقول النص التاريخى فى ذلك من باب التعليق والتفسير : « ونساء الافرنج يمشين فى الاسواق بلا نقاب »

وقد أفاضت القصة الأيوبية الطريفة فى بيان ما جرى من شأن هذا التاجر الصعيدى مع المرأة الافرنجية ، حتى تزوجها ، واستقر بها فى مصر موطنه ، ورزق منها بأولاد شقر الوجوه ، وكان من لا يعلم بحقيقة أمر زوجته ، يعجب من سمرته وبياض أولاده !

رسول من الروم ...

فى أيام الخليفة العباسى « أبى جعفر المنصور » انفذ ملك الروم اليه رسولا لتوثيق أواصر الود ، فورد الرسول على الخليفة ، وبينما هو يسير على الجسر فى صحبة مرافق له من وجهاء الدولة العباسية ، راى عليه جماعة من العاجزين والمرضى يسألون ويستجدون ، فقال لمرافقه : كان على الخليفة أن يرحم هؤلاء ، ويكفيهم مؤونة السؤال . فأجابه المرافق : ان الأموال لا تسعهم !

ولما علم الخليفة بالأمر ، لم يعجبه ذلك الجواب ، فاستدعى اليه رسول ملك الروم ، وقال له : « ان الأموال واسعة ، ولكننى أكره أن استأثر على احد من رعيتى واهل سلطانى بشىء من حظ أو فضل فى دنيا وآخرة ،

وأحب أن يشركوني في ثواب العاجزين والمرضى ، حين يسألون اهل الخير والاحسان من ذوات أيديهم ، فيعطونهم مما أفاض الله عليهم من الرزق ، ليكون ذلك تمحيصا لذنوبهم ، ونجاة لهم في آخرتهم »

والخليفة اما أن يكون قد اراد بهذا الجواب كياسة في الاعتذار ، ولباقة في التعليل ، واما أن يكون صادقا فيما يبتغيه من اذكاء روح البر في نفوس الناس ، وافساح المجال أمامهم للاحسان ، حتى يتعودوا ممارسة الخدمة الاجتماعية من معونة العاجز واسعاف المحتاج

على أن أبا جعفر المنصور كان مشهورا بالبخل الشديد

والعجيب أن هذه المشكلة ما زالت قائمة الى اليوم ، فاننا نعالج مشكلة استجداء السائلين والعاجزين أمام أعين السياح !

بياض ... من سواد !

دارت في الصحف مناقشة بين الأطباء حول توارث الألوان في السلالات البشرية ، وهل يكون الأبيض من الأسود أو العكس ؟

وقد كان ذلك مثار نزاع وخصومة في الأسر منذ أقدم العصور

ويروى لنا تاريخ العصر الجاهلي أن رجلا عربيا تزوج امرأة من قومه ، فولدت له أبناء يغلب على لونهم السمرة ، ثم غاب في بعض أسفاره بضعة أشهر ، فلما قدم من سفره ، ولدت له امرأته ، ونظر الى ابنه فاذا هو أحمر ، فدعاها ، وشهر سيفه في وجهها وقال :

لاتمشطي رأسي ولا تفليني وحاذري الحسام في يميني
واقتربي ، دونك أخبريني ما شأنه أحمر كالهجين
خالف ألوان بني الجون

ويقصد بقوله « بني الجون »: أبناءه السمر

وقد أجابته الزوجة فقالت :

ان له من قبلي أجدادا بيض الوجوه كرما أنجادا
ما ضرهم ان حضروا مجادا أو كافحوا يوم الوغى أندادا
ألا يكون لونهم سوادا

فهذه الزوجة العربية تحتج على زوجها بأن الابن يرث لون أجداده ، ان لم يرث لون آبائه ...

ويؤيد هذا الرأى اليوم علماء الطب ومن اليهم ممن يدرسون توارث الألوان وطبائع الانسان

كشف الرءوس ...

اشتدت الحملة على غطاء الرأس من طربوش أو غيره ، وكثر الذين يبدون حاسرى رءوسهم في صيف أو شتاء ...

ونحن العرب لم نستمسك بغطاء الرأس فى عصورنا الموغلة فى القدم ، وبخاصة فى أزهى عصور حضارتنا الذاهبة

لقد اشتهر العرب فى شرق الأندلس بأنهم حسروا رءوسهم على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم ، حتى الأمراء والملوك ...

يقول « ابن سعيد » المؤرخ ان أهل شرق الأندلس تسامحوا فى ترك العمائم ، وقد رأى هذا المؤرخ بعينه أكبر عالم فى « مرسية » عاصمة السلطان ، وهو حاسر الرأس ، بل رأى « ابن هود » ملك الأندلس فى عصره فى جميع أحواله دون عمامة ، وكذلك رأى «ابن الاحمر» الذى كانت معظم بلاد الأندلس فى يده

أما الجند وسائر أصناف الناس ، فيقرر « ابن سعيد » أنهم كانوا يحسرون رءوسهم ، سواء فى ذلك شرق الأندلس وغربها ، وقل منهم من كان يتراءى على رأسه عمامة

وليس بعد هذا شاهد على أن كشف الرءوس الذى يشيع اليوم بين الأمم العربية ، انما هو بعث للسنة التى جرى عليها العرب فى الأندلس منذ عصور وعصور

تعبيرات فصيحة

هذه جملة من التعبيرات التى تجرى على ألسنة المصريين فى أحاديثهم ، فاذا كتب الكاتبون منهم لم يستعملوها ، ظنا منهم أنها تجانب الفصاحة التى يجب الحرص عليها فى مجال الكتابة ، على حين أنها تعبيرات فصيحة :

● الحس : يستعمله الناس بمعنى الصوت ، ولا يستعمله الكتاب الا بمعنى الشعور ، مع أن امام اللغة ابن السكيت وغيره يقولون : سمعت حسه ، أى صوته

● الحاف : يستعمله الناس فيقولون : خبز حاف ، أى بلا ادام . وقد أثبت اللغويون من معانى الحاف أنه غير المخلوط بدسم . واذن فالتعبير العامى له ما يسوغه

● الكبس : يستعمله الناس فى معنى الهجوم المفاجىء ، فيقولون : كبس العسكر داره ، اذا فاجأوها واقتحموها ، وهذا التعبير يرد فى كتب التاريخ القديمة كثيرا ، ومن أمثلته ما فى « المسعودى » : «فأمر الرشيد بأن أتبعه وأن أكبسه فى منزله »

● من ورائه : كثيرا ما يقول الناس : كان هذا من ورائه ، يعنون : دون علمه ، وفى المخصص عن « أبى زيد » : اغتبت الرجل ذكرته من ورائه بسوء . فالتعبير قديم فصيح

محمد شوقى أمين

قصة حدثت وقائعها فى احـدى المدن الانجليزية

قاض انجليزى للبيع

على مقعد مريح ، فى شرفة منزل صغير باحـدى المدن الانجليزية ، جلس السيد « بيرون اومارا » — القاضى بالمحاكم الجزئية — فى ذات مساء ، ينتظر زائرا . والقى القاضى كتابا كان يتسلى بقراءته جانبـا ، وراح يفـكر فى امر عائلته : البيت الذى تسكنه ، والطريقة التى تعيش بها ، ومركزها فى المجتمع ، ومتاعبها الماضية ، وما تتوقعه من متاعب فى المستقبل . ولم يجد فى جميع الصور التى تتابعت على لوحة ذهنه صورة تبعث على الرضى ، اذ كانت كلها توحى « بأن الفضيلة لا قيمة لها ولا تقدير » !!

كان فى الثامنة والاربعين من عمره معتدل القامة ، تدل هيئته على الوقار والاتزان . اما زوجته فكانت تصغره سنا بنحو عام ، فى حين تبدو اطول منه قليلا . كما انها بدينة ، كثيرة الابتسام ، يندر ان يتملكها القلق . وكانت فى تلك الساعة جالسـة فى الغـرفة التى بها الشرفة ، ترفو جوربا له ، سبق ان رفته مرات . وعلى مقربة منها ، ابنهما الطالب فى السنة الاولى بكلية الحقـوق ، وابنتهما التى اتمت مرحلة التعليم الثانوى ، واعتزمت الالتحاق بكلية الفنون الجميلة لتشبع هوايتها للرسم

كان الابن متفوقا فى دراسته ، وقد حرص خلال العطلة الصيفية على الالتحاق بعمل كتابى لكى يساعد اباه فى دفع مصروفاته الجامعيـة وثمن الكتب والملابس وغيرها . اما اخته — وهى فى السابعة عشرة من عمرها — فكانت تقضى اكثر ساعات فراغها فى التدرب على الاختزال ، استعدادا لالتحاقها هى الاخرى بعمل مناسب خلال الصيف تحصل منه على مصروفات الكلية !

ومسح القاضى عينيـه بيدين متعبتين ، ثم سأل نفسه : ترى هل هم راضون حقا بحياتهم هذه ؟.. انهم اذن لاشد ايمانا واكثر قناعة واكرم نفسا من كل من عرفت من الناس !

وقطع عليه تفكيره صوت سيارة فخمة وقفت بباب المنزل ، ثم هبط منها الزائر المنتظر . وهو رجـل انيق وسـيم ، يدعى « هنرى مللورستورم » . فحدث القاضى نفسه قائلا : « هـذا هو الرجـل الذى يستطيع أن يرتفع بمستوى معيشة العائلة درجات » . ثم نهض ودخـل

الغرفة مسرعا ، وهو يهتف قائلا لزوجته وولديه :

ــ لقد وصل هنري مللرستورم !

وقال الابن في دهشة : « هنري مللرستورم قادم لزيارتنا نحن ؟ » بينما تساءلت اخته : « من مللرستورم هذا ؟ » فأجابها : « الا تعرفين من هو ؟ . انه اكبر سياسي في هذا البلد . ان نصف اصوات الناخبين عندنا في قبضة يده . فتأييده لاي انسان كفيل بأن يجعله يحتل اي مركز يشاء . اليس ذلك صحيحا يا ابي ؟ »

وقال القاضي وهو يتجه الى الباب ليفتحه بنفسه : « لم تجاوز الصواب يابني . وانا اريدكم جميعا معي اثناء وجود الرجل هنا . ان الامر يهمكم بقدر ما يهمني ، ولا سيما انت يا ولدي ! »

وكانما لحظ دهشة ابنه ، فواصل حديثه قائلا له : « ستشاهد امرا يتصل بصميم حياة المشتغلين بالقانون لكنه ليس مما يوجد في الكتب . ولهذا اريد ان تصغي جيدا لحديثنا معا ، وساعرف رأيك بعد انتهاء الحديث »

وما دق جرس الباب ، حتى فتحه القاضي بنفسه ورحب بالزائر . ثم قاده الى حيث خلع معطفه . وفي خلال ذلك بدأ مللرستورم حديثه فقال للقاضي :

ــ جميل منك يا سيدي ان ضربت لي هذا الموعد ، اعني هنا في بيتك ان مشاغلي كثيرة اليوم ، لكني مع هذا سعيد بأن ازورك الآن وشكر له القاضي هذا الشعور الرقيق نحوه ، وهناك في حجرة الاستقبال ، قدم له افراد عائلته . فلما انتهى من ذلك قال له مللرستورم:

ــ هذه عائلة مثالية .. انك رجل محظوظ يا سيدي !

ــ اوافقك على ذلك الى حد كبير فنحن وحدة مترابطة ، كل منا يشارك الآخرين في آمالهم وآلامهم ، ويتبادل الرأي معهم في كل مشكلة تعترضه . ولذلك أحببت ان يسمعوا ما تريد ان تقوله لي الآن

ــ هذا يسرني كثيرا .. فانني احمل اليهم اليوم انباء سارة !

وسكت مللرستورم هنيهة ، ثم قال موجها الحديث الى القاضي :

ــ انت تعرف ان « دي سولت » رئيس المجلس البلدي للمدينة سيترك منصبه قريبا لبلوغه سن الاحالة الى المعاش ، وانت تعرف ايضا ان حزبنا لم يرشح احدا لهذا المنصب ، فقد كان « دي سولت » عضوا دائما . ولكن الحزب وقد تضاعف نفوذه وكثر ماله ، ليس عنده ادنى شك في فوز من يرشحه في الانتخابات القادمة ، ولا سيما اننا نريد ان نرشح رجلا حكيما ، عادلا نزيها ، يعرفه اهالي المنطقة ويثقون به . وقد فكرنا كثيرا في هذا الامر ، فلم نجد من تتوافر فيه هذه الصفات كلها سواك . وقد حضرت الآن لاطلب اليك ان ترشح نفسك باسم الحزب

وفغرت الزوجة فمها دهشة وتملك الابنة مايشبه الذهول . بينما غطى الابن وجهه بيده لكي يخفي مظاهر اغتباطه الشديد بهذا النبأ العظيم اما القاضي نفسه ، فقد قرأ ذلك كله

فى وجوه افراد عائلته ، لكن وجهه ظل جامدا لا يفصح عن شيء . ثم قال فى صوت هادىء : « انه لشرف كبير حقا ، ان يصل الى هذا المنصب الكبير ذى الايراد الضخم ، قاضى محكمة جزئية مثلى ، لا يكفى مرتبه لان يعيش وعائلته عيشة كريمة ، برغم انه امضى فى المحاكم مدة طويلة!»

فقال مللرستورم : « اذن انت قد قبلت وسترشح نفسك فى شهر مايو القادم ؟ »

ــ ارجو ان تتيح لى فرصة لمناقشة الموضوع مع افراد عائلتى !

وتطلع مللرستورم الى وجوه الزوجة والابنة والابن ، فلم يجد فيها ما يحمل على الشك فى موافقتهم . وعلى هذا قال للقاضى وكله اطمئنان : « كما تشاء يا سيدى ، اننى لست فى عجلة » . ثم تظاهر بعزمه على الخروج . واردف قائلا : « هناك شيء احب أن تعرفه ، وارجو الا تسيء فهم ما اقصده . فلست اريد الا الخير لك ولاسرتك . انك الآن تدرس قضية الشاب « نيللى » وبهمك ولا شك ان تكون عنها فكرة صحيحة . ولهذا اؤكد لك ، بناء على معرفتى بذلك الشاب واسرته ، انه شاب طيب المعدن ، مثقف ثقافة عالية ، وقد ابلى بلاء حسنا فى الحرب . واذا كان تهور الشباب قد دفعه الى ذلك الخطأ ، لاول مرة فى حياته ، فنحن جميعا على يقين من انه لن يعود لمثل هذا الخطأ ابدا . ولا اخفى عليك اننى اعقد عليه املا كبيرا فى الميدان السياسى ، واعتقد انه جدير بأن يصبح عما قريب عضوا نشطا فى البرلمان . انك توافقنى طبعا على اننا فى حاجة الى امثال « نيللى » من الشبان الاذكياء الاكفاء المتوقدين حماسة ؟! »

ولم ينبس القاضى بكلمة . فسكت مللرستورم قليلا ، ثم واصل حديثه فقال :

ــ ان حادث السيارة الذى اتهم فيــه نيللى ، يمكن ان يقضى على آمالنا هذه فيه ، وهذا طبعا اذا هو اخذ باقصى العقوبة ، فهل من الحكمة ان نجعل تلك الآمال كلها تنهار ؟ اننى اؤكد لك مرة اخرى يا سيدى ، انه جد نادم على ما بدر منه . وقد تعهد بتدبير معاش من ماله الخاص لتلك المرأة المصابة يبقى لها مدى الحياة . أليس يكفى هــذا للتكفير عن ذلك الخطأ الاول والاخير ؟!

وهز القاضى راسه ببطء ، وعلت وجــه مللرستورم ابتسامة الرضى والارتياح ، ثم اختتم حديثه قائلا : « على كل حال ، اننا نفوض الامر لك وقد يبدو حديثى معك فى هذا الشأن وكانه محاولة للتأثير فى رأيك . لكننى اؤكد لك انه ليس كذلك ! » . ثم نهض واستأذن فى الانصراف !

□

ما كاد مللرستورم يغادر منزل القاضى ، حتى وجد هذا عنقه محوطا بذراعى ابنته ، واخذت قبلاتها تغمر خديه . فى حين قالت له زوجتــه ووجهها يفيض بشرا : « هنيئا لك ياحضرة الرئيس » . اما الابن طالب الحقوق المجتهد فربت كتف ابيه وهتف قائلا :

ــ الآن تحققت امانينا ، بعــد ان

ظلت عزيزة المنال وقتا طويلا !..

وتكلم القاضي اخيرا ، فقال : « يبدو انكم جميعا لم تدركوا فداحة الثمن . انه يعرض على رياسة المجلس على ان يخرج « نيللى » من المحكمة بعد غد بحكم مخفف موقوف التنفيذ ! »

فقالت الابنة : « لكن السيد مللرستورم لم يجيء لهذا .. لقد طلب اليك ان ترشح نفسك قبل ان يذكر موضوع «نيللى» ولقد كنت أصغى لحديثه جيدا ! »

ـ نعم يا عزيزتي .. ان «الطعم» عادة يخفي الشص . صدقيني انني لا استطيع ان اظفر بالمنصب دون ان اقع في الشرك

فقالت الزوجة : « لكن ماذا فعل نيللى . هل ارتكب جرما خطيرا ؟ »

ـ كان في الاسبوع الماضي يقود سيارته بسرعة جنونية وهو مخمور ، ولم يعبأ باشارة المرور فعبر الميدان برغم الضوء الاحمر ، وكانت النتيجة أن صدمت السيارة سيدة كانت هناك ، فأصيبت باصابات بالغة . اما هو فواصل الانطلاق بسيارته ، محاولا الفرار . وقد ظل أحد رجال البوليس يطارده حتى أرغمه على الوقوف ، على بعد نحو نصف ميل من مكان الحادث !

فقالت الزوجة : « اذن هو يستحق الحكم عليه بالسجن ، أليس كذلك ؟ »

وسارع الابن الى الاجابة قائلا : « من الممكن ان يحكم عليه بأدنى حد للعقوبة ، اي بالحبس ثلاثين يوما مع وقف التنفيذ . ولابد ان السيد مللرستورم قد اتصل بالمدعى العام لتخفيف صيغة الاتهام »

وعاد البشر فملأ وجه الابنة ، والتفتت الى ابيها متسائلة : «اليس هذا ممكنا يا ابي ؟ »

فرمقها بنظرة عطف ، ثم قال في لهجة كلها الجد والوقار : « هذا ممكن طبعا يا عزيزتي ، وليس على الا ان ادفع الثمن ، فاظفر بأعلى منصب في هذا البلد . وحينئذ سوف لا تضطرين الى مواصلة تعلم الاختزال اذ يسهل علينا تحقيق امنيتك والحاقك بكلية الفنون . وكذلك سوف يتمكن « روس » شقيقك من مواصلة تعليمه حتى يظفر بدرجة الدكتوراه ، من غير حاجة الى شغل اوقات فراغه بعمل آخر . أما والدتكما فسوف تستطيع ان تشترى كل ما عجزنا عن شرائه في السنين الماضية وسيكون في مقدورنا طبعا ان ننتقل الى منزل جديد او على الاقل نصلح هذا البيت . وهكذا تكونون جميعا في المركز الاجتماعي الذى تحلمون به ، والذى طالما رغبت في تحقيقه لكم ! »

وسألت الفتاة اباها : « لكن ما هي علاقة « نيللى » بميللرستورم ؟ »

فاجاب : « لقد سمعتم ميللرستورم يذكر ان حالة الحرب المالية قد تحسنت كثيرا . والمعروف ان عائلة نيللى تملك اكبر مؤسسات صناعية في هذا البلد . فليس بعيدا ان يكون والده ، الذى يعلق عليه آمالا كبارا ، قد سعى في انقاذه عقب الحادث ، ولجأ في ذلك الى ميللر ستورم لكى

يتوسط عندى فى اطلاق سراح ابنه، فى مقابل التبرع للحزب بالاموال التى يحتاج اليها فى الانتخابات . هذا هو الوضع . فاذا كنتم تريدون منصب الرياسة ، فلابد لنا من أن ندفع الثمن ! »

ونهض الابن من مكانه غاضبا ، واخذ يذرع الغرفة ذهابا وجيئة وهو يقول : « وماذا لو حكم على هذا الشاب بحكم مخفف ؟ انه ما يزال صغير السن . وهذه اول سابقة له وقد اكد مللرستورم انه جد نادم على فعلته . ثم انه سيدفع للمصابة تعويضا كافيا . وفضلا عن ذلك كله .. ما الفائدة من تشديد العقوبة ؟ »

ــ الفائدة ان نكون امناء فى تطبيق القانون تطبيقا صحيحا نزيها

ــ وهل ثمة قانون لا يخلو من ثغرات ؟ بل هل يوجد قانون اتفق كبار الفقهاء ورجال القانون على تفسيره تفسيرا واحدا ؟

وقالت الابنة تؤيد اخاها : « اليس هذا صحيحا يا ابى ؟ قل لنا رأيك بصراحة »

فرد الاب فى هدوء : « الموضوع يحتاج الى شيء من التفكير »

واعتقد الاخ واخته ان هذا الجواب ينطوى على « نصف » اقتناع وتأهبا للذهاب كل منهما الى غرفته وهما يعتقدان ان النصف الآخر لابد ان يتحقق بعد قليل . اما الزوجة فكانت تعرف زوجها جيدا . ولذلك ظلت فى مكانها صامتة لاتنبس بكلمة

▭

قال القاضى يحدث نفسه : « لقد تركت المحاماة لاتخذ من القضاء مهنة لى . وكنت آمل ان ارتقى بسرعة الى اعلى درجات القضاء . وقد كان ذلك ممكنا لو اننى سايرت الظروف ولم ارع الامانة والاخلاص ، ولكننى اردت أن ارتقى معتمدا على الكفاية والنزاهة . وها قدمضت ست سنوات وانا على ما انا عليه لم ازد على ان اكون قاضيا لمحكمة جزئية ! »

وقضى ليلة طويلة ، لم يذق جفنه فيها طعم الغمض . فلما كان الصباح بدا الرجل وقد نال منه السهد وطول التفكير . ثم التف حوله افراد عائلته الثلاثة على مائدة الفطور ، وسألته الابنة : « ماذا ستقول لميللرستورم اليوم ؟ » فأجاب : « لم اصل بعد الى نتيجة »

وذهب القاضى الى مقر عمله ، فلما دخل مكتبه وجد صديقا له من الصحفيين ينتظره ، وسأله الصحفى :

ــ سمعت أنك سترشح نفسك لمنصب الرياسة ، فهل هذا صحيح ؟

ــ نعم ، لقد طلب منى ذلك !

ــ ان رجلا فى منصبك الحالى لا تتاح امامه فرص كثيرة للتقدم .. لقد ظللت قاضيا جزئيا عدة سنوات فان انت لم تفكر فى تحسين حالتك الآن ، فانها لن تتحسن !

ولم ينبس القاضى بكلمة ، فواصل الصحفى حديثه :

ــ ان احدا لا يستطيع أن يوجه اليك اللوم . هذا هو طريق التقدم ، وهذا هو النظام السائد ، فاما ان تمشى معه ، واما ان تظل متاخرا

عن اقرانك . ان اموال نيللى يمكن ان تشترى هذه المدينة بأسرها !

ـ اذن انت تعرف كل شىء ؟

ـ نعم أعرف

ثم استأذن فى الانصراف

وانقضى يوم ، فصل خلاله القاضى فى عدد كبير من القضايا ، وكان فكره من حين لآخر يتحول الى قضية « نيللى » التى ستعرض عليه فى اليوم التالى !

وفى صباح اليوم المحدد لعرض القضية ، ما كاد القاضى يجلس الى مكتبه بالمحكمة فى ساعة مبكرة من الصباح ، وقد بدا شديد التعب لما ساوره من ارق طول الليل ـ حتى دخل عليه رجل طويل القامة بغير استئذان . وبعد ان اغلق الباب وراءه القى على المكتب ظرفا سميكا وقال له وهو يبتسم : « الآن وقد اصبحت احد اعضاء حزبنا ، ارجو ان يكون فى هذا المبلغ التافه ما يسد جانبا من نفقات الدعاية الانتخابية »

ولم يمس القاضى ذلك الظرف حتى غادر الرجل مكتبه ، ثم افرغ محتوياته فاذا هى خمس ورقات مالية من فئة المائة جنيه ، فأعادها الى الظرف وقد اصيب بدوار شديد .

وما كاد يلقى بها فى درج المكتب حتى فوجىء بزوجته وابنه وابنته . لقد حضروا لكى يشهدوا القضية ، ويعرفوا ما سيحدث ! !

وقال لهم القاضى وقد افاق من دواره قليلا : « عندى شىء اريد ان اريه لكم » ثم اخرج الظرف وافرغ محتوياته امامهم . وراح يتأمل وجوههم . فقالت الزوجة بصوت خافت : « هل هذه معونة مالية للدعاية الانتخابية ؟ » فرد القاضى : « هذا ما قاله الرجل الذى سلمنى الظرف » .. وساد الصمت وقتا طويلا ، الى ان قطعه الابن قائلا وقد امتقع لونه : « لقد قلت لى يا والدى أننى ينبغى ان اتلقى درسا من هذا الحادث ، فما هو هذا الدرس ؟ »

ـ الدرس يا ولدى ، ان تكون امناء بكل ما لكلمة الامانة من معنى . أن وجوه الاغراء كثيرة . ولكن طوبى لمن ينجح فى مقاومة هذا الاغراء . اننا جد سعداء ـ وان كنا فقراء ـ لاننا لا نحس ان قرشا واحدا دخل بيتنا من طريق محرم او غير مشروع ! »

فقال الابن : « لك حق يا ولدى ، لان نموت من الجوع خير من ان نحيا بغير كرامة او شرف ! »

وترقرقت الدموع فى عينى الام فقبلت ولدها . وتقدمت الابنة نحو ابيها وهى تقول : « حفظنا الله يا أبى من اغراء المال ، وابقى لك كرامتك وشرفك ونزاهتك »

□

ودقت الساعة العاشرة مؤذنة بحلول موعد الجلسة ، فغادر القاضى غرفته الى ساحة المحكمة ، فوجدها مزدحمة ليس بها مكان خال ، وما جلس على المنصة حتى ساد الصمت فقال بصوت جهورى وهو يخرج الظرف الذى به المال من جيبه : « قبل ان تبدأ الجلسة ، احب ان اقول : ان هذا الظرف وضع على مكتبى اليوم ، وبه خمسمائة جنيه بقصد تخفيف الحكم عن احد

المتهمين الذين ستنظر قضيتهم اليوم وانا أرجو من صاحب الظرف ان يستعيده من سكرتير الجلسة ، والا يكرر صنيعه هذا مرة أخرى ! »

ووجم كثيرون من الحاضرين فى ساحة المحكمة ، ثم سارت محاكمة المتهم سيرها المألوف ، وانتهت بالحكم عليه حكما مطابقا للقانون

وعاد القاضى الى غرفته وقد زايله كل احساس بالتعب !

وبعد لحظات من وصول القاضى الى غرفتــه ، دخل عليه صديقه الصحفى ، وبعد ان هنأه على اصداره ذلك الحكم ، قدم له وهو يبتسم اصل مقال بعنــوان « القاضى اومارا يرفض اليوم رشوة مقدارها خمسمائة جنيه ، ومنصب رياسة المجلس البلدى » ثم قال له : « لقد كتبت هذا المقال ليلة امس . وقدمتــه للصحيفة فوعد رئيس التحرير بنشره فى الصفحة الاولى اليوم اذا تحقق ذلك . وقد تحقق ما تنبأت به »



وفى مساء ذلك اليــوم ، نشرت الصحف قصة القاضى ، واضافت اليها ان عائلة « نيللى » رفضت ان تتبرع لميللرستورم وحزبه بأى مقدار من المال وان الحزب المعارض قرر ان يرشح القاضى لمنصب رياســة المجلس البلدى ، وان يبذل كل ما فى وسعه لمساعدته

وجرت الانتخابات ، وظفر القاضى بأغلبية الاصوات من الحزبين ، فقد كان موقفه من قضــية « نيللى » سببا فى محبة معظم الناخبين له !

[عن مجلة « بلوبوك مجازين »]

لسنا اقل كفاية وثقافة وقدرة من اطباء الغرب ، ولكننا نناشد القائمين بالامر ان ينشئوا عندنا المؤسسات الخاصة بالبحث والاكتشاف والتجارب العلمية اللازمة . . .

لسنا أقل من الأطباء الغربيين إذا ...

بقلم الدكتور سليمان عزمى

تلك الايام نداولها بين الناس ، فمنذ قرون خلت كان الغربيون يؤثرون أطباء الشرق ، ودارت الايام دورتها فاصبح الشرقيون يؤثرون اطباء الغرب . ولكن الحال أخذت تتحسن شيئا فشيئا ، وصار هذا العنوان لا يتفق مع الواقع تماما . ولا بد من شرح مبسط لفهم ذلك :

للطب فروع وشعب كثيرة ، لا يمكن حصرها جميعا فى مقال ، ولكن أهمها ما يأتى :

- الابحاث الطبية فى المعاهد والمعامل لبحث الامراض وأسبابها وطرق علاجها والوقاية منها
- معاهد العلاج والمصحات والمياه المعدنية ، وفترة الراحة والاستجمام
- الطب العلاجي بفروعه ، ويشمل فحص المريض وتشخيص مرضه وعلاجه بالطرق العلمية بالادوية أو بالجراحة أو بالوسائل الطبيعية

اما عن الابحاث الطبية ، فانى اقرر انها تنقصنا ، لا لنقص فى كفاية اطبائنا وثقافتهم ، بل لعدم وجود المعامل والمعاهد الوافية والاخصائيين المتوفرين على التجارب والبحث والاكتشاف والاختراع . وكل ما عندنا محاولات فردية لبعض الاساتذة وغيرهم ، أدت الى ظهور بعض الابحاث القيمة التى يشكرون عليها ، خصوصا مع عدم توافر الظروف الملائمة والوسائل اللازمة التى ناديت بها ونادى بها غيرى من زمن طويل

ولعل القائمين على شئون الدولة يوجهون عنايتهم الى هذه الناحية ، لتلافى هذا النقص الذى استكمله الغربيون ، حتى ظهرت عندهم الابحاث والاكتشافات والاختراعات التى كونت عند الجمهور فكرة جعلتهم يفضلون الى درجة ما اطباء الغرب

الثانى — ان فى بلاد الغرب المعاهد

العلاجية الكاملة الاستعداد لعلاج الامراض ، مما يسهل على الطبيب وسائل الفحص والعلاج والتمريض ويسهل على المريض اتباع النظم الضرورية لشفائه . وبالغرب مدن المياه المعدنية وبها أطباء مختصون ومعاهد خاصة لعلاج الأمراض التى تفيد فيها مثل هذه المياه . وهى عديدة ومتنوعة .. ولكل منها أمراض تفيد فيها

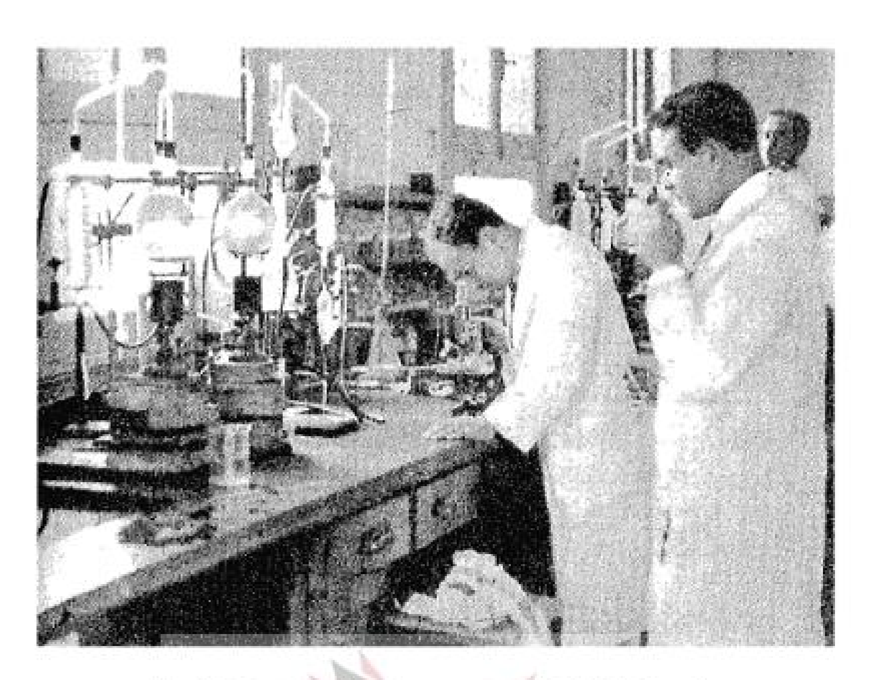
ولايخفى أن السفر للعلاج يستلزم الانقطاع له والبعد عن مشاغل الحياة ، فتكون فترة علاج وراحة تساعد على شفاء المريض

وانه لمن دواعى السرور أن اهتمت الحكومة الحاضرة بمدينة حلوان ومياهها . وبذل السيد مدير صحة بلدية القاهرة همة يشكر عليها ، فجددت الحمامات وتحسنت وسائل العلاج بها فاصبحت تضارع امثالها فى أوربا ، ولا يزال رجال صحة البلدية مستمرين فى تنفيذ مشروعاتهم وتنفيذ كل ما يوفر الراحة لمن يقصدونها للعلاج والاستجمام

ومما يؤسف له أنه ليس عندنا مجموعة من ينابيع المياه المعدنية الصالحة لمختلف الامراض . وهذا



احد معامل الابحاث الطبية بواشنطن . ويوجد كثير من أمثاله فى الغرب



احد المعامل الطبية بمصر .. ويرجى أن يزيد عددها قريبا

ما يجعل بعض المرضى يفضلون العلاج عند أطباء الغرب للافادة من ينابيع المياه المعدنية الموجودة فى بلادهم

كل هذا جعل عند الكثيرين حالة نفسية جعلتهم يؤثرون العلاج عند أطباء الغرب

▭

اما الفرع الثالث ـ مسالة الطب العلاجي وما يشمل من بحث وتشخيص وعلاج بمختلف الوسائل ـ فان الطبيب الشرقى الذى تثقف بثقافة الطب الحديث اصبح فى مستوى زميله الغربى . يشهد بذلك كثير من المرضى الذين قصدوا أطباء الغرب وسافروا خصيصا لذلك ، فانهم لاحظوا انهم اخذوا نفس الدواء واتبعوا نفس طرق العلاج التى كان يعالجهم بها أطباؤهم المصريون. ولذلك زادت ثقتهم بهم واعترفوا بتقدم الطب العلاجى بمصر .

وانى انتظر اليوم الذى يوجد فيه عندنا مختلف معاهد الابحاث والاكتشافات والفنيين المختصين والمتفرغين للبحث حتى نستكمل تقدمنا وتكلل جهود الاطباء المصريين والشرقيين عامة بكامل النجاح

وارجو ان يعرف الجمهـــور ان الاكتشافات الطبية قامت على ثلاثة اسس :

اولا ــ مجرد المصادفة ، كان يلاحظ طبيب مصادفة ان دواء ما افاد فى مرض ما فاستعمله وعمم استعماله ، وكثير من هذه الادوية عرفها العامة بخبرةالسن والاجيال، او انه اثناء بحث بسيط اكتشف شيئا ما لم يكن يتوقع ان يجده

ثانيا ــ الاطبـــاء الاثرياء الذين تعلموا الطب ولم يكونوا فى حاجـة الى التكسب منه ، وكانت عنـدهم نزعة علمية فأسسوا معامل خاصة، وعملوا فيها واشركوا معهم بعض زملائهم ووصلوا الى اكتشـــافات قيمة

ثالثا ــ وهو الاهم ، وجودالمعاهد والمنشآت المستكملة لكل وسـائل البحث والتى بها متفـــرغون له . وهذه الاخيرة هى المنتشرة فى الغرب الآن ، ولا تضن عليها الحكـومات بالمال . والمشتغلون فيها لا يضنون بالوقت ولا بالجهد ولا بالمثـــابرة ، فقد استغرقت بعض الاكتشافات سنينعديدة وجهودا مضنية وقابلها كثير من الاخفاق ، ولكن مع المثابرة وصلوا الى جملة اكتشافات يعرف الجمهور اثرها وفائدتها ويقــدر العلاج بها . وانى وغيرى من الاطباء والصـــيادلة ، نعـرف ان بعض العقاقير الطبية ، قد حضر مكتشفوه اكثر من عشرين مستحضرا كيماويا فى معاملهـــم حتى وصـلوا الى المستحضر الاخير ذىالفائدةالعلاجية والخالى من اى اثر ضار . وقـد استغرق بحثهم عشر سـنوات او اكثر قبل ان يعرضوه فى الاسواق

ولا بد ان اوجه كلمة شــكر الى كثير من معامل الادوية والعقـاقير فان كثيرا منها لم يقتصر على مجرد تحضير دواء من عقاقير معروفة ، بل ألحق بمعامله معاهد ابحاث كاملة وافية ، لبحث مختلف العقـــاقير واكتشاف عقاقير حديثة غــيرها افضل منها

هذا ما يسمح الوقت بكتابتــــه وارجو ان يكون فيه الكفاية لحضرات القراء وأن تكون فيه تذكرة وحث لمن يريد المساعدة فى انشاء معامل ومعاهد للبحث ، حتى يصل الطب وفروعه فى الشرق الى مســـتوى الكمال . وحتى نصدر فى القريب الاكتشافات والمخترعات، ولا نقتصر علىمجرد استيرادنا لها منالخارج . وارجو ان يكون فى هذا ما يقنـــع المنتقدين من حضرات القـــراء ، فلا يوجهون اللائمة الى الاطبـــاء اذ ليست الابحاث الطبية مجرد اطلاع على الكتب والمجلات فحسب ، بل الاساس فيها المعاهـــد والمعامل والمؤسسات الخاصة ، والمالالوفير للصرف عليها ، وتفرغ الاطبـــــاء والفنيين لهذا العمل الجليل

تعقيب للدكتور ابراهيم فهيم

لا شك أن ما ذكره أستاذنا الدكتور سليمان عزمي يوافق عليه جميع الاطباء ، فالواقع أن الاطباء الغربيين لديهم الفرص الكثيرة للابحاث والاكتشافات الطبية من معامل ومعاهد وأموال كثيرة . ولو أنها أتيحت للاطباء المصريين لما نقصهم شيء لمجاراتهم ، خصوصا وان فيهم الكثيرين من ذوى الكفايات الممتازة ، وانى لأذكر ان فى لندن وليفربول وبرمنجهام ، وغيرها من المدن الاوروبية ، أطباء مصريين وشرقيين يزاولون الطب بنجاح ، ويقصد اليهم المرضى الغربيون من اقصى البقاع لينالوا العلاج والشفاء

وهذه ظاهرة تلفت النظر، ولاشك ان أصولها تمتد الى نفسية المريض

ونحن نشاهد فى كل مكان ، أن الطبيب قد لا يفلح فى علاج اقاربه او أصدقائه المقربين الذين يلهو معهم فى أوقات فراغه

ولذلك ينصح علماء النفس طبيب العائلة ، الا يندمج تماما مع مرضاه، وان يبقى على حجابه الكهنوتى

ان لكهنوت الطب ولشخصية الطبيب اثرا كبيرا فى شفاء المريض ، والطبيب الناجح ليس دائما أكثر علما من زملائه ، ولكنه فى جميع الاحوال ذو شخصية قوية يعرف تماما كيف يكسب ثقة مريضه ، ويشعره بغزارة علمه وسعة افقه

ولذلك كان العامل النفسى من اهم الاسباب التى تدفع بعض الشرقيين للسفر الى الخارج طلبا للعلاج

ويتركز ايمان هؤلاء المواطنين باطباء الغرب على ما يقدمه لنا الغرب من عقاقير حديثة تقفز بالطب العلاجى خطوات كبيرة

ولكن يجب الا يغرب عن البال ، ان التنافس المادى بين شركات الادوية العالمية ، ذات رؤوس الاموال الضخمة ، والامكانيات الهائلة ، هو الحافز الاساسى لهذه البحوث ، فكلما ابتكرت شركة عقارا تبارت الاخرى فى البحث عن عقار افضل منه ، طلبا للكسب

ونذكر على سبيل المثال ان انتاج البنسلين عند بدء اكتشافه كان بطيئا ، مما جعل سعره مرتفعا ، وكان مقدرا له ان يظل كذلك حتى اليوم ، اذ يحتاج الى اوعية كبيرة لتخمير الفطر ومعدات خاصة تشبه التى تستعمل فى صنع البيرة وسرعان ما انتهزت هذه الفرصة الذهبية للربح ، اكبر شركات البيرة الامريكية وهى شركة فايزر فتحولت بكل امكانياتها ومعداتها لانتاج البنسلين ، وبذلك انخفض سعره الى هذا الحد الذى نراه ، بل وتمكن قسم الابحاث بها من كشف الترامسين والتراسين

وانى اعتقد انه قد آن الأوان لاكتشافات مصرية ، فمجال الكسب المادى امام الاطباء لم يعد مغريا ، وبذلك سيتجه فريق منهم ناحية البحث ليرضى طموحه ويحرز مجدا

الاكثار من السمن ولحوم الضان والاوز والبط يفتك بالجسم كما تفتك بهـا السموم ..

ماذا نأكل ... وماذا يأكلون؟

بقلم الدكتور نجيب رياض

الطبيب بقسم الصحة الدولية

ســـاعدتنى دراساتى الطبية فى فرنسا وسويسرا ، وزياراتى بعد ذلك لبلاد شمال أوربا وجنوبها فى الوقوف على طرق معيشة الشعوب فى هذه البلاد

وقد اردت ان اقارن بين طرق تغذيتهم وطرق تغذيتنا نحن المصريين او الشرقيين ، لما فى هذه المقارنة من فائدة طبية كبيرة ، ولاسيما بعد أن اثبت الطب الحديث اهمية اتباع طرق التغذية الصالحة لتفادى مختلف الامراض

والمقصود بالتغذية الصحيحة ان يتناول الانسان الغذاء الذى يناسب سنه وعمله ، فالرجل الذى يكدح فى العمل خارج البيت يجب ان يأكل اكثر من المرأة التى تلزم البيت . كذلك يجب أن تتناسب التغذية مع حالة الجو ، فالشعوب التى تعيش فى الجو البارد يجب ان تأكل اكثر من الشعوب الجنوبية حيث الجو الحار

ومما لاحظته فى سويسرا ، ان أهلهـــا يكثرون من اكل البطاطس المسلوقة بالماء ، ويقللون من اكل المواد الدسمه . واكثرهم لايتناولون وجبة العشاء ، مكتفين بوجبة خفيفة مكونة من قهوة ولبن وطوست ومربى

اما فى مصر ، والبـلاد الشرقية عامة ، فنحن نكثر من الاكل الدسم سواء فى الصباح او الظهر او الليل وكان يجب أن نأخذ عن السويسريين طريقة اكلهم التى تناسب جونا ، فى حين انهم لو اتبعوا طريقتنا فى التغذية لكان ضررهم اقل منا بسبب برودة طقسهم !

ومما يؤســـف له اننا فى مصر لاينقصنا شيء من الخيرات العظيمة المغذية ، ولكن سوء استعمالنا لكل هذه الخيرات يسبب لنا الامراض . والعجيب ان الأغنياء منا يكثرون من اكل أنواع الحلوى والفطائر الدسمة المضرة بصحتهم ، بينما يدمن الفقراء منا على شرب الشاى «الثقيل» المضر بصحتهم .. وكان خيرا لهم لو انهم انتفعوا بثمنه فى شراء مواد ذات قيمة غذائية يحسنون بها صحتهم !

ونحن نعرف ان نقص اليود فى

الماء وفى ملح الطعام قد ساعد على انتشار مرض تضخم الغدد الدرقية فى بلاد غير بلادنا . ونعرف أيضا أن المصريين لا يستعملون فى غذائهم عيش الغراب الذى يكثر من اكله الاوربيون ، فيتعرضون للتسمم الغذائى بسبب تناولهم خطأ نوعا ساما منه

اننا ننصح لكل عائلة مصرية بعدم الاكثار من السمن ولحوم الضان والاوز والبط والحمام وما اليها من الاغذية الدسمة ، فهى فى الواقع بمثابة سموم تفتك بالجسم ، وتسبب أمراض الكبد والروماتيزم والامساك وغيرها . وقد عرف الاوربيون ذلك وعملوا به مما جعل اللحوم الدسمة عندهم اقل ثمنا من اللحوم غير الدسمة .. فلحم الخنزير هناك أرخص من لحم الخروف ، ولحم الخروف ارخص من لحم العجل وهكذا . اما فى مصر والشرق فالامر على عكس ذلك ، مع الاسف الشديد !

ان البلاد الاوربية الشمالية لاتوجد فيها تلك الكثرة من الاجسام البدينة كما هو الشأن فى بلادنا الشرقية بسبب الاكثار من اكل المواد الدسمة والفطائر والحلويات وكثرة الشرب ، وبسبب المعيشة المريحة الخالية من المجهودات البدنية التى تحياها بعض سيداتنا !

والبدانة تؤدى الى الخمول ، والى اضطراب الهضم . وهذا الى اجهاد المعدة والكبد والامعاء ، فتتضخم الكبد ، وتتأثر الدورة الدموية بزيادة المجهود على القلب والاوعية . وتكون النتيجة تفشى مرض البول السكرى ومرض المفاصل . كذلك يحرص الاهلون فى كل بلاد اوربا على المحافظة على مواعيد تناول الوجبات . ففى وقت الغذاء ظهرا تخلو الشوارع هناك من الناس ، لوجودهم داخل بيوتهم او مطاعمهم . وفى الساعة السابعة مساء يتناولون طعام العشاء وبذلك لاينامون بعده مباشرة مما يضر بالصحة

اما شرب الماء فيجب الا يكون قبل الاكل او بعده بمدة قصيرة ، بل يكون قبله بساعة على الاقل ، او بعده بثلاث ساعات . مع التقليل من كميته بقدر المستطاع

ومن العادات الصحية التى يجب اتباعها الاكثار من اكل السلطات الخضراء المكونة من الطماطم والخس والجرجير مثلا ، بعد غسلها جيدا وتطهيرها مدة كافية بمحلول البرمنجنات ، لانها غنية بالفيتامينات

ولما كانت بلادنا معرضة للاصابات بطفيليات وميكروبات كثيرة ، كالدوسنتاريا والتيفود ، فعلينا أن نتفادى تناول السلطات الخضراء والجرجير والبقدونس الا بعد التأكد من غسلها وتطهيرها

كذلك يجب الامتناع عن تناول المشروبات التى توضع قطع الثلج فيها ، لان هذا يعرض للاصابة بالتيفود

ويجب ان نختار الغذاء الايسر هضما ، والاكثر فائدة . والغذاء الصحى يجب ان يكون متوازنا ، أى محتويا على جميع العناصر اللازمة للجسم بكميات متناسبة ، فلاتطغى فيه المواد النشوية مثلا على غيرها من العناصر الغذائية الاخرى

وقد لاحظت ان الاوربيين لايكثرون مثلنا من أكل الخبز ، بل يستعيضون عنه بمنوعات اخرى . ولاشك ان الاكثار من الخبز يعرض للاصابة بامراض نقص التغذية ، فهو غذاء غنى بالنشويات ، فقير فى العناصر الغذائية الاخرى كالفيتامينات واملاح الكلسيوم اللازمة للجسم

والاوربيون عموما ، وسكان اوربا الشمالية خاصة ، مغرمون باكل المحار او ذوات الاصداف كالكندوفلى والاستريديا . وقد منعت الحكومة عندنا صيد هذه الحيوانات ذات الاصداف وبيعها فيما بين شهرى مايو وسبتمبر من كل سنة ، وذلك لتفادى انتشار عدوى التيفود والباراتيفود والكوليرا وغيرها

ومن الخير أن تثقف ربات البيوت ثقافة غذائية ، فيتعلمن طرق الطهى التى تحفظ للطعام قيمته الغذائية وفيتاميناته . ومن الخطأ ان يطبخ الغذاء ليكفى الاسرة يومين او ثلاثة لان خزن الغذاء يفقده بعض فيتاميناته ويعرضه للفساد

لماذا يلدغ البعوض بعض الناس ولا يلدغ غيرهم ؟ وهل جميع انواعه تنقل المرض ؟

لماذا يلدغنا البعوض؟

قليلون هم الذين يسلمون من لدغ البعوض ، فهو ينتشر فى المناطق الاستوائية كما ينتشر فى المناطق القطبية ، ويكثر فى البلدان القريبة من شواطىء الانهار والمحيطات ، كما يوجد فى قلب الصحارى والقفار . وهذه طائفة من الاسئلة تدور حول هذه الحشرة الغريبة ، لم يتوصل العلم الى الاجابة عنها الا فى السنوات الاخيرة

• لماذا يلدغنا البعوض ؟

ــ ان اناث البعوض وحدها هى التى تلدغ الانسان والحيوان . اما الذكور فهى بحكم تكوينها الطبيعى ليست مهيأة للدغ ، ولكنها غالبا تتبع الاناث حيثما تذهب . ويرى علماء الحشرات أن انثى البعوض تحتاج الى رشفة من دم الانسان أوالحيوان لان هذه الرشفة بمثابة الفيتامينات الضرورية لها . فاذا لم يتوافر لها ذلك مرة على الاقل كل ٢٥ جيلا ، فان ذريتها تصاب بالهزال الشديد ثم تموت . ومن حسن حظ البشر أن غذاء البعوض الرئيسى هو رحيق النباتات

• لماذا يلدغنا البعوض فى الغالب اثناء الليل ؟ وكيف تهتدى البعوضة الى غرضها فى الظلام ؟

ــ ان أكثر الحشرات التى تقتحم البيوت تتناول طعامها ليلا ، واطفاء النور فى البيت اشبه عندها بجرس يدق ايذانا بحلول موعد تناول الطعام . وهى مزودة بحاسة شم قوية ، وحاسة لمس اشبه بالرادار . ولذلك تندفع نحو الجسم متخذة نفس الطريق الذى تتخذه موجات الحرارة والروائح المنبعثة منه . وفى اغلب أنواع البعوض يقع الانف فى قرنى الاستشعار عندها ، وتتركز حاسة الشم عند بعضها فى الشعيرات النابتة على قوائمها !

• من اى بعد يمكن ان يطير البعوض لكى يلدغنا ، وكيف تثبت البعوضة نفسها فوق الجلد وتنجح فى ثقبه ولو كان خشنا سميكا ؟

ــ ان أنواع الناموس العادى التى تهاجم البيوت يندر ان تطير اكثر من الف قدم من مكان فقسها . وهى لذلك تحرص على أن تبيض فى مواضع قريبة من المساكن العامرة . وتفضل الحفر والبراميل واوعية جمع النفايات والقاذورات . على ان بعض الانواع الكبيرة منها تقوم بغارات جماعية

على المدن والقرى من ابعاد تتراوح بين خمسين ميلا وسبعين ميلا . وقوائم الانثى تنتهى « بتصل » به أطراف مدببة تمكنها من تثبيت نفسها فوق الجلد ، هذا الى أنهـا مزودة بمجموعة من الابر والمجسات والاجهزة الثاقبة . وهى تدير هذه الاجهزة بسرعة كبيرة جدا تمكنها من ثقب أسمك طبقات الجلد ، بما فى ذلك جلد الضفادع وجلود الثعابين التى تكسوها القشور

● **لماذا لا نشعر بالبعوض عند تثبيت قوائمه على الجلد ، فنتمكن من ضربه وقتله قبل ان يتم مهمة اللدغ وامتصاص الدم ؟**

ـ حينما تشرع البعوضة فى تنفيذ مهمتها ، تحقن الموضع الذى تقف فيه بمادة مخدرة تميت الشعور . وهذه المادة تنتقل عبر الابرة المجـوفة المثبتة فى لسان البعوضة . ومن شأنها ايضا ان ترقق الدم بحيث لا ينجلط أثناء انتقاله فى انبوبة الامتصاص الرفيعة بمعاونة المضخة الصغيرة المثبتة فى رأسها . وهى احيانا تمتص مايزيد وزنه على أربعة أمثال وزنها . وفى حالة تنبه الانسان لوقوف البعوضة على جلده قبل اللدغ ، تحدث محاولته طردها توترا مفاجئا فى الجلد سرعان ماينقله جهازها العصبى ، فتشعر به كأنه زلزال من تحتهـا ينذرها بمغادرة موضعها

● **لماذا يلدغ البعوض بعض الناس دون بعضهم الآخر ؟**
وهل لنوع الملابس التى نرتديها اثر فى اجتذابه ؟

ـ تدل التجارب التى اجريت فى هذا الصدد على أن سرعة التنفس ، والكميات الكبيرة من ثانى اكسيد الكربون التى يخرجها بعض الناس أو الحيوانات اثناء الزفير ، هى السر فى انجذاب بعض أنواع البعوض ، وقد قام الدكتور « و . ا . براون » من جامعة « اونتاريو » بصنع دميتين رفع درجة حرارتهما الى درجة حرارة الجسم العادية ، وكساهما ملابس البشر . ثم وضعهما على بعد ست أقدام من موضع البعوض ، وشبع الملابس بمحلول اذيب فيـه ثانى اوكسيد الكربون ، فلم ينجذب البعوض اليها . ولما أوصلهما بجهاز خاص يخرج من فميهما وانفيهما مقادير من ثانى اكسيد الكربون بسرعة التنفس اصبح رأساهما وجسماهما هدفا للبعوض . وظهر من هذه التجربة ايضا ان عدد البعوض الذى يتجلب الملابس البيضاء لا يتجاوز ١٠٪ من عدد البعوض الذى يندفع نحو الملابس القاتمة السوداء . وأن الالوان ـ بوجه عام ـ كلما كانت اقل دكنة ، قل اندفاع البعوض نحوها

● **ما متوسط عمر البعوضة ولماذا تحدث طنينا عندما تدور فى الغرف باحثة عن طعام لها ؟**

ـ لايزيد متوسط عمر الذكور من البعوض على تسعة ايام . وهى بعد مولدها بقليل تختار لها انثى وتظل تتابعهـا متخذة لها من حين لآخر رشفة من عصير الخضر أو النباتات النامية فى الحقول القريبة . اما الاناث المحظوظة فهى تعيش عادة نحـو

ثلاثين يوما . الا اذا فاجأها الشتاء قبل أن تتاح لها فرصة لوضع بيضها . وعندئذ تجوز مرحلة تكون فيها أشبه بالنائمة ، وهذه المرحلة تستغرق أحيانا أربعة اشهر أو خمسة وتنتهي حينما تصبح الظروف الجوية ملائمة لذرية البعوضة

أما في الاجواء الدافئة ، فتكفي عشرة أيام لكي تنمو البعوضة بعد الفقس وتصل الى مرحلة البلوغ . وفي فصل الربيع وما قبله من أيام الخريف الدافئة ، وما بعده من أيام الصيف المعتدلة ، تتوالد أحيانا خمسة عشر جيلا من البعوض . وتضع البعوضة العادية نحو مائة بيضة كل خمسة أجيال ، ويكفي هذا العدد لكي تصل بذريتها الى ٣١ الف مليون بعوضة اذا تركت بغير مقاومة !

وهي عادة تضع بيضها على سطح الماء ، فاذا فقس خرجت منه يرقات تعيش تحت الماء وتدفع بأنابيب فوق سطحه كي تتنفس منها . ومن هنا ، كان الزيت الذي يلقى على سطح الماء يسبب اختناقها ، اذ لا تستطيع هذه الانابيب أن تخترق طبقة الزيت

وأما طنين البعوضة الذي تسمعه فهي لا تتعمد احداثه ، ولكنه صوت تموجات أجنحتها

● هل تنقل اغلب انواع البعوض امراضا ؟

— عرف حتى الآن نحو ثلاثة آلاف نوع من البعوض ، وقليل جدا منها هو الذي ينقل المرض . على أن البعوضة كانت أول حشرة عرف أنها تنقل المرض . وكان ذلك سنة ١٨٧٨ حينما اكتشف السير « باتريك مانسون » أن أحد انواع البعوض يسبب مرضا يؤدي الى تورم الاطراف والغدد ، ويتطور أحيانا الى مرض الفيل المعروف . وفي سنة ١٨٩٧ ، اكتشف ان انواعا أخرى تنقل الملاريا وفي سنة ١٩٠٠ عرف نوع البعوض الذي يحمل مرض الحمى الصفراء

ومن نعم الله الكبرى ان أنواعا قليلة من البعوض هي التي تحمل المرض فالانواع التي تحمل الملاريا مثلا — على قلتها — تسبب اصابة ما يقرب من ٢٥٠ مليون نسمة في كل عام بهذا المرض ، منهم مائة مليون في الهند وحدها . وهكذا الحال في غيرها من الامراض . وقد كان للامصال التي اكتشفت في السنوات الاخيرة أثر كبير في مقاومة هذه الامراض . هذا الى أنه ابتكرت مواد كيميائية كثيرة كان لها أثرها في الفتك بهذه الحشرات

● هل للبعوض اية فائدة ؟

— ان علماء الحشرات يكادون يجمعون الآن على أن البعوض يقوم بدور حيوي — وان لم يكن مباشرا — في مقاومة الاوبئة ، وذلك لانه هو نفسه الطعام الوحيد لبعض انواع الحشرات والطيور والاسماك والحيوانات التي تحارب حشرات غاية في الخطورة ، ولو تركت بغير مقاومة لنقلت الى البشرية أوبئة فتاكة ، لا تعد الامراض التي ينقلها البعوض شيئا يذكر بجانبها !

[عن مجلة « لاريفو موحرن » الفرنسية]


آلات الطبع بالاستنسل المشهورة في
جميع أنحاء العالم
الأمز
ELLAMS
موديل
M. 10QE
كهربائى
• سريعة : ١٠٠ نسخة في الدقيقة الواحدة
• مضمونة : طبع وتزويد بالحبر آليا
• متينة : تحمل ضمانة كاملة لمدة ١٠ سنوات
تزويد بالحبر منتظم ومراقب
يوجد لدينا أيضا الاستنسل "فيلام"
الأمز المشهور وحبر لجميع أنواع وموديلات
آلات النسخ وأيضا لوحات وورق
للطباعة ورينش ماركة الأمز
موديل
D. 10
إخصائيون فنيون مزودون بأحدث
المعدات يكفلون لكم صيانة وإصلاح
آلاتكم على أكمل وجه
موديل
D. 100
توجد موديلات أخرى
شركة ستاندرد ستيشنرى (تأسست سنة ١٩٢٤)
ت ٢٧٩٨٤